

ميسره الدندراوي
حارس
الليلة الأخيرة
كتوبيا
نشر وتوزيع

مشهد افتتاحي

ليل - داخلي

مقر إقامة وزير الصحة - مدينة السادس من أكتوبر

مساء الخامس من يونيو عام ألفين وثلاثين

وصلت السيارة المرسيدس السوداء ذات الزجاج المظلل أمام الفيلا البسيطة ذات الحديقة في احد المجمعات السكنية الراقية في مدينة السادس من أكتوبر تتقدمها سيارة دفع رباعي يوحي مظهرها بالخطورة.

وما أن توقفت السيارتان، حتى هبط من سيارة الدفع الرباعي زوج من العمالقة الشبيهين بأعمدة المعابد القديمة، ووقفا ينظران يمنة ويسرة بجوار باب المرسيدس، ثم فتح أحدهما الباب ليهبط من المرسيدس رجل نحيف إلى درجة غريبة، تناثر الشعر الأبيض على جانبي رأسه، يرتدي عوينات طبية أنيقة، ويحمل في يده حقيبة من طراز سامسونايت، ثم مشى بين زوج الحراس العمالقة، ليبدو المشهد جديرًا بفيلم كوميدي.

وما أن اقترب الجمع من باب الفيلا، حتى تحرك زوج العمالقة واتخذوا موقعهم خلف الرجل النحيف، فضغط ذلك الأخير على جرس الباب الإلكتروني، ليجيبه صوت عبر جهاز الاتصال الداخلي.

- الاسم والغرض من الزيارة.

فتنحنح الرجل النحيف وكأنه موشك على أداء فقرة موسيقية.

- قول لمعالي الوزير إن شكري الحايس عايزه في موضوع مهم.

صمت الصوت القادم من جهاز الاتصال للحظات بدت كالدهر للرجل النحيف، ثم جاءه الصوت من جديد:

- اضغط على الزر رقم أربعة وبعدين رقم ستة.

ضغط الزرين كما طلب منه الصوت، فسمع صوت رنين خافت، ثم فتح الباب واشتعل ضوء خفيف فوق رأسه، فخطا بقدميه إلى داخل الفيلا.

وما أن خطا بضع خطوات داخل المكان، حتى راح يتلفت يمنة ويسرة، ثم رفع رأسه إلى أعلى، فرأى كاميرا صغيرة تستقر في ركن صالة الاستقبال الصغيرة في المدخل.

وبعد دقيقة تقريبًا، فتح باب في ركن الصالة الصغيرة، وخرج منه رجل يرتدي حلة بيضاء كاملة، بربطة عنق بيضاء، وقميص أبيض ناصع البياض، حتى انه بدا ككوب حليب يمشي على قدمين.

- معالي الوزير في انتظارك في مكتبه.

هز الرجل النحيف رأسه، ثم تبعه عبر ممر صغير إلىغرفة مكتب السيد وزير الصحة. الرجل الذي أصبح يعيش في تأمين شبه عسكري، وكأنه أحد أعضاء برامج حماية الشهود الأمريكية الشهيرة، أو عميل سابق في المخابرات الروسية. وما أن دخل الرجل النحيف

غرفة المكتب، حتى قابله وزير الصحة، الدكتور عبد الباقي رضوان، وعلامات التوتر والضيق تعلو وجهه:

- أهلًا يا شكري .. تعالى اتفضل.

تقدم شكري ناحية المكتب، واتخذ مكانه على المقعد مقابلًا لمعالي الوزير رهين المحبس شديد التأمين:

- خير يا شكري؟

- خير يا معالي الوزير .. أنا معايا بس شوية أوراق لازم حضرتك تطلع عليها من الوزارة .. ومعايا تقرير حملة التطعيم عشان حضرتك تتطلع على ..

قاطعه الدكتور عبد الباقي في ملل:

- تاني يا شكري .. هو أنا مش قولت الحاجات دي يشوفها وكيل الوزارة ويأشر عليها.. لحد ما الأزمة دي تعدي على خير ويمسكوا ابن الكلب اللي داير بيدبح في الناس ده.

دفع شكري عويناته الطبية من فوق قصبة أنفه وقال في توتر:

- أنا سامع معاليك إنهم قبضوا على ضابط شرطة مشتبهين فيه .. ومتحفظين عليه في سجن شديد الحراسة بقالهم كام يوم.

أخرج الوزير سيجارًا فاخرًا من علبة خشبية أمامه، وقص طرفه وهو يقول:

- مفيش حاجة مضمونة اليومين دول يا شكري .. ممكن يكون

كبش فدا بيضحوا بيه عشان يتقوا شر غضبة سيادة الريس عليهم.

ثم وضع السيجار الضخم بين أسنانه، ثم أشعله بقداحة كهربائية كبيرة، وراح ينفث دخانه وهو يراقبه، بينما شكري يراقب الدخان المتصاعد من فمه معالي الوزير وهو صامت بلا حراك:

- بقولك ايه يا شكري .. فاكر الورق اللي كنت شيلته عندك من شهرين كده؟

رفع شكري عينيه إلى السقف كأنه يفكر أو يحاول التذكر ثم قال:

- آه معاليك فاكر طبعًا .. الورق اللي كان في الظرف البني الكبير.

- بني ايه يا شكري .. الورق اللي كان في شنطة سامسونايت قديمة .. اللي مقفولة برقم سري.

نظر شكري إلى وجه الوزير ساهمًا، وبدت أمارات الغباء على وجهه:

- أنت باينك كبرت وخرفت يا شكري وهتودينا في داهية .. الحمد لله إني محافظ على نسخ إلكترونية منه على اللابتوب .. فلتحيا التكنولوجيا.

ثم نفث دخان سيجاره من جديد، وشكري يهم بقول شيء ما، إلا أن الهاتف الداخلي رن رنينًا خافتًا بجوار معالي الوزير، فوضع السيجار أمامه وأجاب:

- أيوة .. منين المكالمة .. الوزارة .. طيب حوليهالي.

ثم نظر إلى شكري وقال ساخطًا:

- طالبيني من الوزارة ليه وأنت هنا .. ما كانوا بعتوا كل حاجة معاك.

ابتسم شكري ابتسامة بلهاء، بينما يضع الوزير السماعة على أذنه من جديد:

- آلو .. مساء الخير يا معالي الوزير .. ازي حضرتك؟

وكأنما صعقه أحدهم بكابل كهربائي عالي الجهد، اتسعت عينا الوزير وجحظت حتى كادت تغادر محجرها، وهو يستمع إلى الصوت القادم من الهاتف:

- أيوة يا معالي الوزير .. حضرتك سامعني؟

راح الدكتور عبد الباقي يهز رأسه في دهشة، ثم نظر إلى السماعة في هلع، ورفع عينيه نحو شكري قائلًا:

- ازاي .. ازاي ال ..؟

لكنه قطع عبارته فجأة أمام ما رآه.

فأمام عينيه الجاحظتين، كان شكري يبتسم ابتسامة خبيثة كريهة لا تليق بشخصيته المهلهلة التابعة، ثم نهض وهو يخلع عويناته الطبية، ومال بجسده مستندًا على المكتب وهو يصوب نظرة باردة جمدت الدم في عروق عبد الباقي رضوان:

- آلو .. يا معالي الوزير .. أنا شكري يا فندم.

راح الصوت يتردد عبر سماعة الهاتف، بينما دار شكري، أو من كان شكري، دار حول المكتب الخشبي الأبيض الأنيق، ثم أخرج من جيبه سكينًا ملتويًا صغيرًا.

بينما راح معالي الوزير يصرخ في عنف طالبًا النجدة:

- ما تتعبش نفسك يا عبد الباقي .. الحوائط بتاعتك عليها عازل صوت من نوع ممتاز .. يعني لو انفجرت قنبلة هنا محدش هيسمعها برة..

- أنت عايز مني ايه؟ .. أنا ما عملتش حاجة .. أنا...

رفع الرجل النحيل أصبعه أمام فمه طالبًا من عبد الباقي الصمت، ثم رفع السكين أمام وجهه وهو يقول:

- فين اللابتوب اللي عليه البحث؟

- لابتوب ايه .. وبحث ايه .. أنا ما أعرفش حاجة.

- بحث المتحولين الثلاثين يا عبد الباقي ..

كان عبد الباقي يرتعش كالغزال الموشك على الذبح بأنياب أسد جائع، بينما ساقاه ترتعشان كعودين من الجرجير، وهو يشير بأصبع مرتجف إلى طاولة صغيرة في ركن الحجرة، يستقر فوقها كمبيوتر محمول أبيض اللون.

- أنا قولت لمهدي بلاش .. قولتله بلاش .. بلاش نفتح في أبواب

هتجيب وراها الخراب.

تلك الرائحة التي كانت تصدر من الرجل النحيل، رائحة هي مزيج من الروث والخمر وبقايا رماد نار كانت مشتعلة في قطعة من البلاستيك، وعيني الرجل تشعان نورًا أحمر كأنه بعث لتوه من سقر. ثم فجأة، وأمام عيني عبد الباقي الباكيتين من فرط الرعب، حدث ما لا يجد له عبد الباقي أي تفسير.

فأمام عينيه، نما شعر ثائر أسود فوق رأس الرجل النحيل، واستحالت بشرته إلى لون قمحي مشرب بالحمرة كأنه جاء من طريق صحراوي مشمس، وتبدلت كل ملابسه إلى اللون الأسود، بينما اختفت التجاعيد من على وجهه، وارتفعت أذناه طويلتان كأذني الثعلب إلى جوار شعره الثائر الأسود.

- أنت ايه .. أنت مين .. انت!!

- أنا الحقيقة يا عبد الباقي .. أنا اللي جاي عشان أخلصك من عذاب الحبس زي فأر التجارب في قفص زجاج.

ثم رفع السكين والنور الأحمر يشع من عينيه نحو عبد الباقي، الذي راح يصرخ مرتعبًا من هول ما يراه، وصاحب الرداء الأسود يتمتم بكلمات غريبة لم يسمعها عبد الباقي في حياته.

- سيدي ..هذا خادمك المخلص ست.. يأتيك بعبد ربه عبد الباقي بقلبه المليء بالخطايا .. ويقبل كلمة ماعت من خلف الميزان .. فأقبله عندك .. وامنحه صك العبور.. أو امنحه وليمة لعمعموت..

ثم رفع السكين الرفيع ذا النصل المنحني، حتى التمع نصله في ضوء الحجرة الخافت.

ثم غرسها في قلب الدكتور عبد الباقي رضوان.

غرسها بلا رحمة.

* * * * *

الحلقة السادسة

الليلة الأخيرة

المشهد الأول

ليل - خارجي

شارع هايي - بورتسموث - انجلترا

مساء العاشر من يناير عام ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون

كنت أمشي بخطوات بطيئة واثقة فوق الرصيف القصير على جانب الشارع، بينما يمشي آرثر إلى جواري.

كنا في طريقنا إلى منزل من طابقين يقع في نهاية شارع هايي، بجوار حانة جراي هاوند، والتي شهدت منذ مائتي عام وأكثر مقتل دوق باكنجهام الأول.

واليوم، بالقرب من المكان الذي رصف الشارع أمامه بحجر الإسكافي، ارتكبت جريمة جديدة.

كان آرثر طبيبًا أسكتلنديًا شابًا، جاء إلى منطقة جنوب الميناء في بورتسموث منذ ثلاثة أعوام، وفي جيبه عشرة جنيهات كاملة، والآن أصبح واحدًا من أشهر الأطباء الشبان في بورتسموث، بل في مقاطعة هامبشاير بأكملها.

شاب طموح، في السادسة والعشرين من عمره، محدود الذكاء، لكنه مخلص، مخلص كما يجب أن يكون الطبيب مثله مخلصًا.

كنت أرتدي معطفًا بنيًا ثقيلًا، ترتفع ياقته لتغطي على رقبتي التي امتلأت بالجروح الجافة، وأسفله ثياب بسيطة غير مهندمة أو متناسقة، بينما كان آرثر يضع معطفًا أسود فوق سترة كاملة بصديري من الساتان، وسلسلة الساعة تتدلى من صدره حتى جيب الساعة الصغير بينما يصفف شعره الأسود اللامع بدهن الشعر الهندي. وهناك أمام ذلك المنزل الصغير البسيط، كانت الجثة مستلقية فوق الشارع المرصوف أمام باب المنزل الخشبي، ذي الطلاء المتقشر بفعل الرطوبة وهواء البحر.

كنت أكاد أختنق من تلك الأجواء الرطبة، ومن رائحة الأسماك التي تفوح من مصاطب البيع في سوق الأسماك على بعد أمتار ومن الضباب الذي ينتشر حولنا أغلب اشهر السنة.

كنت أفتقد شمس كيمت المشرقة، ورائحة طين النهر الطيب، وأعواد الذرة التي تتمايل في النسيم القادم من الشمال. لكن الشمس غربت، وشرقت بدلًا منها شمس باهتة فوق رؤوس خانعة،

تأكل ما يلقي به السيد الغازي لأنه هو القوي، وطين النهر الطيب أصبح يسرق، وأعواد الذرة احترقت كما احترق كل شيء.

- هذه هي الجثة يا أنوب.

هذا هو الاسم الذي اتخذته عندما استيقظت يومًا منذتسعين عامًا، فوق ظهر سفينة خشبية قادمة من مدينة الإسكندر، لأجد نفسي على سواحل هذه المدينة.

وجدت نفسي هنا، بعد أن عدت من بئر بتاح، وخرجت من كيمت الطاهرة مع دخول زبانية ذلك الرجل القصير ذي الشعر المتهدل، نباش قبور الآباء والملوك وسارق أثرهم وأعمدتهم. اقتربت من الجثة الملقاة على ظهرها أمام باب المنزل، والمغطاة ببطانية من الصوف الخشن، فنزلت على ركبتي على الأرض، ورحت أتحسس الدماء بجوار الجثة.

عندما وجدت نفسي هنا، بعد أن أفقت من سبات الماء المبارك، تخفيت وسط الناس، وعملت حمالًا في الميناء الكبير في جنوب تلك البلدة، ثم رحت أجوب شوارعها ومدنها طوال تسعين عامًا، حتى استقريت هنا.

في تلك المدينة التي تقع خلف الميناء الكبير.

مددت يدي ورفعت الغطاء جزئيا، بينما جثا آرثر على ركبته بجواري، غير عابئ بالوحل الذي لطخ بنطاله في موضع ركبتيه، ونظر معي إلى وجه الجثة شاخص البصر.

- أبعد هؤلاء العامة أيها الطبيب الطيب .. فرؤية هذا الجسد المشوه ليست بالمنظر المحبب لهم.

نهض آرثر من جواري، وتحدث بكلمتين مع شرطي مسكين هزيل يقف بجوار المنزل، فراح الأخير يحاول محاولات بائسة مع زميل له، كي يبعد العامة عن مسرح الأحداث.

بينما عاد آرثر إلى جواري وهو يهمس بأسنان مصطكة من ذلك البرد القارص.

- هل انتزع الأحشاء والقلب من جديد؟

- في الغالب .. لكن آثار الدماء توحي بأنه دم طازج .. أسيل منذ ساعة على أكثر تقدير .. وهو ما لا أفهمه.

- لماذا لا تفهمه؟

نظرت نحوه بجانب وجهي وقلت هامسًا:

- لأن المنزل ملاصق لحانة جراي هاوند يا دكتور دويل .. وهو مكان مزدحم طوال اليوم .. لذا فمن المستحيل أن يكون من فعل ذلك قد قتل الجثة وانتزع قلبها وأحشاءها في قارعة الطريق.

ثم رحت أجوب بعيني في المباني المحيطة بالساحة أمام الحانة:

- كما أنه لا يمكن أن يكون فعل ذلك في مكان بعيدعن هنا .. ثم نقل الجثة إلى المكان في عربة يجرها أحصنة .. فلا أثر لأي حدوات أو روث هنا أو هناك ..

ثم رحت أتشمم الجو حولنا، ونزلت على ركبتي من جديد، وأنا أتشمم الأرض بجوار الجثة، ثم أشرت بيدي لآرثر الذي راح يدون كلماتي وكأني أمليه كتابًا مقدسًا، فتبعني مسرعًا.

- منزل من هذا؟

أشرت إلى المنزل ذي الطابق الواحد، متكسر النوافذ، والذي خلعت ألواح من بابه، وتقشر طلاؤه.

- أعتقد انه منزل مهجور .. ربما كان لأحد تجار الشحن الذي هجروا المدينة في زمن الطاعون.

ثم اقترب مني وهو يحدق في وجهي متسائلًا، فقلت:

- أشم رائحة ميتة تأتي من هذا المنزل.

ثم أشرت له بعصاي على الأرض وأنا أتابع:

- ثم إن خطًا من الدم يأتي من هناك .. يسيل ببطء بين شقوق الحجر حتى الجثة الملقاة هناك.

راح ينظر إلى الأرض، ثم جثا على ركبتيه من جديدوقال:

- أنا لا أرى دمًا يا أنوب ..

- لأنك لا تملك عيونًا مثل عيوني يا آرثر .. ولا أنفا مثل أنفي .. ولا أذنا مثل أذني.

ثم رفعته من أسفل ذراعه ونظرت إليه تلك النظرة التي يعرفها

جيدًا، فسرت الكلمات إلى داخل عقله.

- أظن أننا تحدثنا عن هذا سابقا يا آرثر.

- اعذر جهلي أيها القادم من الشرق .. أنت تعرف أنني ما زلت أحاول استيعاب ذلك.

- ستقدر يا آرثر .. أنت تملك عقلًا مستنيرًا .. وقلبًا صادقًا .. وستعي كل شيء.

ثم نظرت له نظرة تغلغلت وسط أعماق مخه.

- ويومًا ما ستكتب كل شيء .. عني وعن الشيطان القادم من الغرب.. وعن أجدادي وأجداد أجدادي .. أنت من سيكتب كل شيء يا آرثر.

ثم تركت ذراعه، وابتسمت له ونحن نتقدم ناحية ذلك البيت المهجور. كنت أفتش عن الأثر تلك العلامة التي عندما أراها سوف أعرف أنه هنا.

إنه يتتبعني منذ أن فارقت كيمت في ذلك اليوم.

يبحث عني وعن اثري، يريد أن ينهي الأمر بلا رجعة، فهو يعرف أنني الأخير وأنه إذا تخلص مني ومن أثري، فسيبقى هو فقط، ويومًا ما سيخرج من جسدي الميت ما يظن أني تعلمته من تحوتي، ويتحول بسببه إلى رمز أو نبي أو ربما إله يأمر وينهي.

يظن أن تحوتي أملاني كتابه المزعوم!

أكبر كذبة في التاريخ، كتاب تحوتي المقدس!

كنت أبتسم ساخرًا من ذلك الخاطر الساخن ومن غباء البشر جميعًا، متحولين وغير متحولين، عندما قطع آرثر سيلان أفكاري:

- أنت تبحث عن الأثر .. أليس كذلك؟

- أحاول .. لكنني لا أجده .. ولا أجد ما قد يدلني إليه.

ثم نظرت له بطرف عيني وقلت:

- كيف كان سوق السمك اليوم .. وشاي بعد الظهيرة مع الآنسة بانكر في العيادة؟

- ألن تكف عن لعب هذه اللعبة معي يا أنوب؟

ابتسمت ساخرًا، ورحت أزيح بعض الألواح المتساقطة في مدخل المنزل، ثم دفعت الباب في هدوء، ليصدر صريرًا صاخبًا:

- كيف عرفت أنني قابلت الآنسة بانكر اليوم في العيادة؟

- الأمر بسيط يا آرثر.

ثم خطوت بقدمي في هدوء على الأرضية الخشبية وهو يتبعني، ونحن نهتدي بذلك الضوء القادم من مصباح الشارع.

- على أسنانك يظهر ذلك الأثر الداكن لشاي ثقيل غير مصفى .. وبين الأسنان وعلى طرف فمك بقايا البسكويت الذي تفوح منها رائحة جوز الهند .. ومعنى أنك أكلت بسكويت جوز الهند .. فهذا

يعني أنك كنت في عيادتك بعد الظهيرة عندما جاءك الخبر .. لأن الممرض وودهاوس لا يشتري إلا بسكويت جوز الهند .. والشاي الثقيل القادم من مستعمرات سيلان ..

- هذا لا يجيب على سؤالي يا أنوب.

كنا نخطو الآن نحو إحدى الغرف، والرؤيا تتعسر أكثر وأكثر

- تقصد عن مقابلة الآنسة باتكر .. هناك بقايا وردة مجففة على صديريتك بجوار جيب الساعة .. ورائحة اللافندر المميزة لتلك البودرة التي تدهن بها السيدات رقبتها .. أما كيف عرفت أنها باتكر

نظرت له وعيناي تتوهجان في الظلام وقلت:

- فهذا مجرد تخمين ليس إلا .. وقد أصبت معك كالعادة.

راح يضحك في طفولية وجذل، وهو يحاول أن يخطبقلم الكوبيا فوق دفتره، لكنه لم يكن يقدر على رؤية كف يده حتى.

تقدمت من أحد المصابيح المعلقة، ورحت أتشممه ثم قلت:

- كيروسين طازج .. أحدهم كان هنا.

أخرج آرثر ثقابه وحاول إشعال المصباح في محاولات عديدة، حتى التقط المصباح الشرارة فأشعل الفتيل الصغير وعلى ضوء المصباح الخافت، رأينا ذلك النقش على الحائط الحجري المصفر نقش لثعلب يبدو كذئب، أو ذئب يبدو كثعلب، أو كلب يبدو كالاثنين معًا.

- اللعين .. كنت أعلم ذلك.

همست بها من بين أسناني، ثم أقترب من النقش الصغير وأنا أتحسسه. وفجأة، تردد ذلك الصوت في أذني قائلًا:

- لو كنت مكانك لما اقتربت أكثر يا ابني أخي.

توترت عضلاتي، بينما تراجع آرثر للخلف، وأخرج من جيب معطفه ذلك المسدس الصغير ذا الطلقتين، ووقف متحفزًا كالكلب البوليسي.

- قل للطبيب المسكين أن يخفض سلاحه .. فأنت تعرف أنني لا أحب الأسلحة.

عدت للخلف قليلًا، وأنا أنظر حولي، وأثناي تحاول التقاط مصدر الصوت:

- أنوب .. من أين يأتي ذلك الصوت؟

رفعت أصبعي على شفتي وأنا أطلب منه الصمت، ثم نظرت إلى النقش الخافت في ضوء المصباح.

- ما ذنب هؤلاء المساكين فيما تفعله يا ست؟

- ننبهم أنك هنا .. وأنك لا تريد الاستسلام يا ابن أخي .. ولا تريد منحي ما أريده.

رفعت عصاي في الهواء وحاولت أن أتحسس بها الحائط عند

النقش الباهت وأنا أقول:

- وماذا تريد مما أعلمه يا ست .. ألا يكفيك ما تعلمه؟

- أريد سر الخلود الذي علمه لك تحوتي أيها الملكي المقدس.

- لم يعلمني شيئًا يا عماه .. أخبرتك من قبل أنه لا يوجد كتاب ولا يوجد سحر ولا يوجد شيء من هذا.

ثم نظرت نحو آرثر وطلبت منه أن يقترب وقلت:

- هذا اللعين ناثان نشر الأسطورة وأنت صدقته يا عماه.

ارتفعت ضحكاته عاليًا، ارتفعت حتى هزت الحوائط، والأثاث، والضوء في المصباح الذي يحمله آرثر.

- أنا من جعلت ناثان الغبي ينشر هذه الأسطورة .. حتى يدور الأغبياء في العالم بحثا عن الأثر أو ما يشبهه .. وعندما يجد أحدهم شيئًا غريبًا .. سيقودني ذلك إليك.

ثم صمت للحظات توقف فيها الهواء في سماء الحجرة، وقال بصوته المبحوح:

- ومنذ شهور .. جاءني الخبر عن أنوب الذي يمشي في الطرقات .. يقرأ الجثث وأجساد الموتى .. ويعرف الكثير من الألعاب والحيل .. ويقدر على شم الهواء والتنبؤ بالرياح والأمطار .. فقلت لنفسي أنني اشتقت كثيرًا لابن أخي العزيز .. ووجب أن أزوره قليلًا.

اقترب مني آرثر، فأشرت له ناحية احد الممرات الصغيرة، وطلب

منه أن يتحرك نحوه، فقلت رافعًا صوتي:

- لذا جئت إلى هنا ورحت تقتل وتسفك الدماء وتنثر الرموز والأحاجي فوقها .. حتى تقودني إليك.. وكل هذا من أجل ماذا يا عماه؟

- من أجل السر الأعظم يا أنبو .. من اجل السر الأعظم.

- يا ليتك فنيت كما فني الآخرون يوم أن غضب تحوتي.

ضحك ضحكته الخبيثة من جديد وقال:

- ليس تحوتي فقط من يملك الحيل يا ابن أخي.

ثم سمعت صوته يأتي من خلفي مباشرة وهو يقول:

- والآن يا ابن أخي .. فلنكتف بهذا القدر من لهو الأطفال.

التفت نحوه في حدة، لأجده يقف أمامي تمامًا، وعيناه الرماديتان الباردتان تنظران لي في كراهية:

- شخت كثيرًا يا ابن أوزير.

- تسعون عاما ليست بالقليلة يا ست.

- وجهك وجه رجل في الأربعين .. لكن روحك شاخت يا أنبو.

- أن تشيخ روحي خير من أن يشيخ عقلي يا عماه.

سمعت صوت خطوات آرثر المترددة تأتي من الخلف، فقلت رافعًا

صوتي:

- انتظرني بالخارج يا دكتور دويل .. فلدي كلمة مع صديقي العزيز.

راح آرثر ينظر إلى وجهي ووجه عمي ست، الذي يبدو أصغر مني بعشرين عامًا على الأقل، ثم تراجع بظهره والمصباح في يده خارجًا من البيت:

- والآن .. هلا أنهينا هذا الأمر كالرجال يا عماه.

- أنت مسكين يا أنبو .. هل تظن أنني سأتعارك معك أو أبارزك بالسيف والعصا حتى وإن كنت أصغرك الآن جسديًا بثلاثين عامًا.

ثم قرب وجهه من وجهي وقال بصوت كالفحيح:

- هناك الكثير من الألعاب التي لم نلعبها بعد يا ابن أوزير .. وأنت لن تتخلص مني بسهولة .. ستنظر حولك في كل الوجوه فتجدني فيها.. لن تنام يومًا وأنت مطمئن لأي وجه يحيط بك .. فأنت تعرف مقدرتي على ارتداء الوجوه يا صغيري.

ثم ابتسم ابتسامة كريهة ماجنة صارخة عابثة:

- ثم إن الطريق ما زال طويلا يا أنبو .. وأنت ذاهب اللي كيمت قريبًا .. حتى تقترب من البئر من جديد.

- بعد عشرين عامًا يا عماه .. ما زال أمامي الكثير.

- إذن فلا تحرمني لذة العبث بك كما تعبث الهرة بفريستها.

هممت أن اهجم عليه بجسدي كي ..

أين السما

فجأة رأيت نفسي واقفًا في تلك الصحاري ذات الرمال البيضاء والسماء الزرقاء، أم كانت سماء برتقالية ورمال خضراء.

وهناك رأيته يقف أمامي، مهيبا طويلًا حتى كاد يلامس السماء.

- والآن ستنام يا أنبو .. ستنام قليلًا .. وعندما تستيقظ ستكون في ورطة .. لكنك ستفلت منها .. كي تعود لي من جديد.

ثم ابتسم ابتسامته الكريهة وقال:

- فكما قلت لك .. العبث بك متعة لا تضاهيها متعة يا ابن أخي.

ثم نفخ بفمه نفخة واحدة، فثارت رمال الصحراء الزرقاء، أو الخضراء، أو الحمراء، أو أيًا كان لونها. رحت أقاوم وأنا أسعل، أسعل، وأحاول أن أقاوم ذلك الشعور بثقل في رأسي وفي أكتافي وفي عروقي. وصوت آرثر العزيز يأتيني من خارج المكان والزمان ينادي علي في خوف:

- أنوب .. أنوب ماذا بك .. يا الهي الرحيم .. أنت تموت يا أنوب .. أنوب!

لكن جسدي يثقل .. يثقل .. يثقل.

نسيت أن أخبركم عن آرثر ربما لو بدأنا بالتعارف، فسيكون الأمر مفيدًا لكم، حتى أستيقظ من سباتي الذي وضعني فيه عمي

الملعون، كما أخبرتكم، فإن آرثر أو دكتور دويل كما يسميه مرضاه، طبيب ماهر محدود الذكاء لكنه مخلص، وسيكون ذا شأن يومًا ما.

ما اسمه الكامل؟

اسمه آرثر كونان دويل.

* * * * *

المشهد الثاني

نهار - داخلي

مقر النيابة العامة - القاهرة الجديدة

مساء الخامس من يونيو عام ألفين وثلاثين

جلس إبراهيم أبو النور على مقعده الوثير خلف مكتبهالخشبي الضخم، وهو يضع طرف فتاحة الخطابات المخبأة في غلافها الجلدي على جانب وجهه الممتلئ. بينما أمامه يجلس سيف، سيف الدين إبراهيم عبد الفتاح، الذي كان يومًا ما مقدما في المباحث العامة، ثم إنه لا بد من فترة راحة واستشفاء. استراحة محارب كما سماها.

- حمد الله على السلامة يا سيف باشا. كفارة يا أخي.

ابتسم سيف ابتسامة مجاملة صفراء:

- شكرًا يا سيادة المستشار .. أنا بقول أخش في الموضوع على

طول.

- طول عمرك تحب تخش في الموضوع .. وأنا كلي آذان صاغية.

رشف سيف من فنجان القهوة، ووضع الفنجان فوق الطبق بصوت مرتفع رنان، ثم سعل على سبيل التسلية، وقال:

- أنا جاي عشان أتكلم معاك عن محمد حارس.

نظر له إبراهيم نظرة متفحصة بينما تابع:

- أنا معايا دليل براءة محمد حارس يا سيادةالمستشار .. الدليل اللي هيخليك تفرج عنه بدون ضمانات.

راح إبراهيم يدق بفتاحة الخطابات فوق سطح مكتبه، ثم ألقى بفتاحة الخطابات بإهمال فوق الأوراق وقال:

- بص يا سيف باشا أنا عارف العلاقة القديمة اللي بينك وبين محمد حارس وإنه تقريبا اتربى في بيتكم وأنكم زي الإخوات وأكتر، عشان كده لو كنت جاي تناقشني في قرار حبسه أو تحاول تدور له على حجة غياب مضروبة عشان تطلعه بيها .. فصدقني تبقى بتضيع وقتك ووقتي.

ابتسم سيف ابتسامة عريضة لا تخلو من سخرية، ثم مد يده إلى جيب قميصه ذي الأكمام القصيرة، وأخرج مظروفًا صغيرًا ناوله إلى إبراهيم أبو النور. تناول إبراهيم المظروف منه، ومد يده ليخرج بطاقة ذاكرة صغيرة راح يقلبها بين أصابعه الممتلئة، بينما كاتب

النيابة العجوز، ينظر إلى سيف نظرات خاوية، ويده ممسكة بالقلم بلا كتابة.

حانت التفاتة من سيف إلى الرجل، ليجده يحدق فيه بثبات، ثم يبتسم لسيف ابتسامة حانية لم يفهم معناها كثيرًا، فحول وجهه إلى إبراهيم وهو ينفض فكرة جاءت على خاطره.

هذا الوجه مألوف له بشكل ما، ربما رآه في مكان ما، أو هو ذكرى بعيدة حدثت له في وقت كان يتحدث فيه إلى نفسه ظانًا أنه يتحدث إلى صديق وزميل، تبين أنه....

- ايه ده يا سيف باشا

- دايما بتبهرني بملاحظاتك يا معالي المستشار.

- من بعض ما عندكم ..

ثم وضع بطاقة الذاكرة على ورقة بيضاء خالية وأشار لها متابعًا:

- وعليه ايه بقى الميموري كارد ده.. وايه علاقته بمحمد حارس؟

- ده ببساطة كده .. دليل براءة محمد حارس.

- دليل براءته ازاي بقى؟

عقد سيف كفيه فوق كرشه البارز، ومدد ساقيه أمامه وهو يقول:

- ده تفريغ تسجيلات كاميرات المراقبة في مصحة الشفاء للعلاج النفسي .. من يوم ٣١ ديسمبر ألفين تسعة وعشرين لحد يوم ١

مارس ألفين وتلاتين

- وطبعًا هتقولي إن محمد حارس ظاهر في التسجيلات دي كلها

- لا هو مش ظاهر وبس

اقترب ميف بوجهه الممتلئ وفي عينيه ذلك البريق العابث الذي اشتاق له:

- محمد كان بيزورني في المصحة بشكل يومي في الفترة دي .. زي مثلًا يوم ٣١ ديسمبر .. لما جه سهر معايا في المصحة بإذن الطبيب المعالج .. دكتور عادل عجواني.. واحتفلنا سوا بالسنة الجديدة .. ومن كتر تعبه وإرهاقه نام على الدكة الخشب جنبي .. وما صحيش إلا الساعة ٤ صباحًا .. يعني بعد ساعتين من ارتكاب أول جريمة في الأربعة.

انعقد حاجبا إبراهيم أبو النون وراح ينظر إلى ميف نظرة متشككة عابسة، فتابع ميف:

- ولا مثلا يوم الجريمة التانية .. كان مهرب في البالطو بتاعه رغيفين حواوشي .. حاكم هو عارف أنا بحب الحواوشي ازاي .. ولما دكتور عادل كشف الموضوع .. قعد ياكل معانا .. ولا بقى يوم الجريمة الرابعة بتاعة السير مهدي .. لما كان جاي يحتفل معايا بعيد ميلادي .. لا وجابلي تورتة حلوة أوي .. والممرضات كلهم طفوا الشمع معانا وغنوا هابي بيرث داي.

- خلاص مفهوم .. مفهوم.

أشار سيف نحو بطاقة الذاكرة وقال ضاغطًا على الكلمات وكأنه يضغط على جرح متقيح:

- كل ده عند حضرتك هنا .. والتسجيلات الأصلية موجودة في السيرفر بتاع المصحة .. وممكن بإذن نيابة .. لا إذن نيابة ايه .. ده أنت ممكن حضرتك شخصيا تستدعي فريق الأمن بتاع المصحة وتاخد منهم التسجيلات ..

غمغم إبراهيم أبو النور بكلمات لم يفهمها هو شخصيًا، ثم التفت إلى الكاتب الذي كان ما زال يركز نظراته نحو سيف، فصاح إبراهيم أبو النور:

- اصحى معايا واكتب عندك .. في حضورنا نحن إبراهيم أبو النور رئيس نيابة القاهرة الجديدة .. سلمنا السيد سيف الدين إبراهيم عبد الفتاح بطاقة ذاكرة سوداء .. بحجم ١ تيرا بايت .. تحتوي حسب إفادته على مقاطع فيديو من تفريغ كاميرات.

- معلش يا إبراهيم بك أنا اسف للمقاطعة .. أنا بس معايا حاجة كمان لازم حضرتك تشوفها برضه.

ثم مد سيف يده إلى جيب قميصه من جديد، فأخرج صورة صغيرة ناولها إلى إبراهيم وقال:

- دي صورة السيد شكري الحايس .. مدير مكتب وزير الصحة الدكتور عبد الباقي رضوان .. واللي لقطته كاميرات المراقبة في

مدخل الكومباوند اللي عايش فيه وزير الصحة .. واحد حبيبي امبارح حكالي الموضوع ده. بس نبهني لنقطة صغيرة كده مش منطقية

- نقطة ايه يا ميف باشا؟

نفس البريق يشع من عيني ميف، بينما ابتسامة كاتب النيابة العجوز تتسع وتتسع، بينما تناول إبراهيم أبو النور كوبًا مليئًا بالماء وراح يرشف منه:

- شكري الحايس فضل سهران في مكتبه امبارح .. وما نزلش راح لمعالي الوزير في بيته .. فازاي بقى لقطته الكاميرات هنا وهنا .. وخصوصًا إن الكاميرات بتقول إنه آخر واحد دخل على معالي الوزير قبل ما يلاقوه مدبوح وقلبه منزوع من صدره.

توقف إبراهيم أبو النور فجأة عن شرب الماء، حتى أنه سعل مرات متتالية، وسحب منديلًا ورقيًا وضعه أمام فمه.

- مين اللي لقوه مقتول وامتى؟

- معالي الوزير عبد الباقي رضوان .. لقوه مقتول بنفس الطريقة الوحشية .. ولقوا جنبه ورقة مكتوب عليها بدمه .. ملعون أنت يا

من تنبش قبر ابن الرب .. نفس الباترن بتاعة السفاح يا معالي المستشار.

- وأنت عرفت المعلومات دي ازاي يا سيف باشا؟

ابتسم سيف ابتسامته الساخرة الواثقة:

- أنا صحيح خرجت من الخدمة من أربعتاشر سنة ..بس لسه لي زمايل وحبايب في الوزارة .. وبرة الوزارة.. يعني مثلًا.. صاحب شركة الأمن اللي ماسكة المصحة والكومباوند زميلنا عماد محمد حمدي .. وهو اللي بعتلي نسخة الفيديوهات دي على كارت الميموري.. طب تصدق بالله .. معالي الوزير نفسه دفعتي .. وكان مبسوط أوي لما قولتله إني لقيت دليل براءة زميلنا .. العقيد محمد حارس.

نظر إبراهيم أبو النور إلى سيف، وراح ينقل بصره بينه وبين بطاقة الذاكرة:

- وطالما هو بريء .. ومعاه دليل دامغ زي ده .. ما نطقش كلمة ليه من ساعة ما قبضوا عليه .. لا في تحقيقات الشرطة ولا تحقيقات النيابة.

- أنا هقولك يا إبراهيم بيه .. لأن ده أول سؤال وجيه تسأله النهاردة؟

ثم نظر إلى كاتب النيابة العجوز، وبادله تلك الابتسامة قائلًا:

- لأن محمد حارس بيدور على الموت زي ما كلنا بندور على الحياة .. محمد حارس يا معالي المستشار مريض سرطان دم في درجة متقدمة جداً.. ولولا إن إعدامه ممكن يضر ناس كتير .. ما كانش سمحلي النهاردة آجي لحضرتك وأتكلم.

- يقوم يرمي يقود نفسه بنفسه لحبل المشنقة ؟

- ربنا نزل على الناس الأرزاق والأدمغة يا إبراهيم بك .. قام كل واحد ما عجبوش رزقه .. لكن كل واحد دماغه مريحاه.

ثم نهض سيف من على مقعده، كأنه جمل يهب واقفًا بعد نومة طويلة، ثم عدل من وضع قميصه، وقال في هدوء:

- أستأذنك أنا يا معالي المستشار، وأتمنى إن إجراءات الإفراج عن حارس ما تطولش عشان أنا هستناه النيابة هنا لحد ما يطلع.

ثم رفع يده مبتسمًا إلى الكاتب المبتسم في سعادة، والتفت ناحية الباب لكي يغادر المكتب. وعلى الباب، وبعد أن فتح الباب وهم بالخروج، وقف للحظة، وهمس لنفسه في خبث وعيناه تشعان بذلك البريق:

- كش ملك ..

ثم أغلق الباب

* * * * *

المشهد الثالث

نهار - داخلي

مكتب موقع الحقيقة الإخباري - مصر الجديدة

مساء الخامس من يونيو عام ألفين وثلاثين

- أنتِ لسه واقفة .. ادخلي اقعدي هنا وافتحي اللابتوب اللي معاكِ ده .. واكتبي اللي هقولك عليه.

- حاضر يا ريس.

التف ماهر الرفاعي بمقعده وهو ينظر إلى النافذة المقابلة له، وهو يدعي حالة الإبداع التي قلما جاءته في حياته، ثم قال موجهًا كلامه لسمر دون أن يلاحظ الابتسامة الساخرة على وجهها:

- اكتبي في نص السطر ..

- نص السطر ايه يا ريس هي حصة إملا!

نظر لها بجانب وجهه شذرًا، ثم قال:

- اكتبي وأنتِ ساكتة يا بنت .. في نص السطر .. سر المتحولين الثلاثين .. موقع الحقيقة يكشف لكم سر البحث الغامض .. الذي كان وراء مقتل شخصيات طبية مؤثرة .. آخرها .. الدكتور عبد الباقي رضوان.. وزير الصحة.

ثم راح يصدر أصواتًا شبيهة بقرقرة القطط، حتى ظنت سمر أنه

ميتحول إلى قط عملاق:

- في قديم الأزمان .. ولد على ارض مصر .. جنس من الخارقين .. الذين امتلكوا قدرات لم يمتلكها بشر مثلهم.. وتوارثوها جيلًا بعد جيل.. حتى ظن الناس أنهم آلهة تمشي على الأرض ..

ثم نظر لها وقال في صرامة:

- وما تنسيش تكتبي أساميهم زي ما هي موجودة في صفحات البحث ده.

نظرت له سمر مستنكرة:

- هنكتب أسامي تلاتين بني ادم يا ريس .. كتير كده .. التحقيق هيكبر أوي .. ثم إننا مش متأكدين من صحة الأسماء اللي في البحث دي.

- مش مهم .. إن شالله يبقى مليون صفحة .. افهمي يا سمر واتعلميها بقى.

ثم نظر لها نظرة ثعلبية ماكرة، أو ربما نظرة حاول جعلها ماكرة، وتابع:

- الأسماء دي هتخلق حالة من الجدل الواسع .. أنتِ متخيلة لما تقولي للناس إن أوزوريس وإيزيس وست دول مش آلهة .. دول بني آدمين زي وزيك بس عاملين زي أبطال القصص المصورة .. دي حاجة هتبلبل الرأي العام.. وهتخلي المشاهدات في السما ..

وهتزود الكلكل .. الكل ..

- الكليكات ..

- أيوة هي البتاعة دي .. هتخليها تزيد وترفع البتاع اللي اسمه الريتش بتاعنا .. وساعتها كلنا هنقبض .. كلنا ..

زامت بشفتيها وغمغمت وكأنها تلوك كلامه وتتذوق طعمه، ثم تابعت الكتابة، إلا انه سألها متصنعًا عدم الاهتمام في صوته الحاد:

- إلا قوليلي يا سمر .. أنتِ وصلتِ للبحث ده ازاي؟

راحت تستعدي الإجابة في عقلها، وتتذكر

تتذكر عندما عاد والدها القعيد من زيارته للمحلة، من بيت عائلته الذي لم يطأه منذ أن ماتت أمها. كانت عائدة من سهرة نسائية لطيفة مع بعض صديقاتها، من النوع الذي تكون فيه النميمة هي الوجبة الرئيسية على مائدة الحوار. وما أن فتحت باب الشقة، وألقت بمفاتيحها على الطاولة الصغيرة بجوار الباب، وألقت تحية المساء على صورة والدتها المعلقة في منتصف حائط الصالة، لتسمع صوت والدها يأتي من غرفته:

- أنتِ جيتِ يا سمر؟

مشت في هدوء ناحية غرفة أبيها القعيد، الذي كان جالسًا فوق المقعد ينظر إلى لوحة كبيرة تحتل نصف حائط غرفته، وتظهر جلسة محاكمة الموتى في ميثولوجيا مصر القديمة، اقتربت منه

في هدوء، ووضعت كفيها فوق كتفيه، ثم منحته قبلة حنونًا على خده المتجعد:

- اتعشيت؟

-آه .. مسعد جابلي فطيرة مجق بس تستاهل بقك.

- الكوليسترول يا حاج الكوليسترول.

صدرت منه ضحكة خافتة، ثم قال وعيناه معلقتان على اللوحة:

- غريب أوي المشهد ده .. ومعبر جدًا.

- اللوحة دي عندك بقالها يجي عشرين سنة .. وعمرك ما ركزت فيها أوي كده.

شاعت ابتسامة في تقاسيم وجهه، زادت من تجاعيده:

- يمكن عشان أول مرة احس قد ايه أنا كانت عينيا مغمضة عن تفاصيل كتير أوي .. تفاصيل كانت قدامي من زمان .. لكن أول مرة آخد بالي منها.

ثم أشار بيده إلى الكومود الخشبي العتيق جوار فراشه وقال:

- افتحي الدرج الأولاني .. هتلاقي ظرف بني كبير .. هتصوري كل الورق اللي مكتوب فيه بالعربي مش باللاتيني .. وهتشيليه معاك .. وفي الوقت المناسب .. هتنشري كل حرف فيه في الموقع بتاع ماهر الرفاعي.. هو اسمه ايه؟

- اسمه الحقيقة يا بابا.

اتسعت ابتسامته من جديد:

- أهو لأول مرة هيبقى اسم على مسمى.

نهضت من جواره، وفتحت الدرج وأخرجت منه المظروف السميك، ثم قرأت ما كتب على الغلاف:

- المتحولين الثلاثين .. ايه ده؟

ثم رفعت عينيها وهي تنظر إلى ظهر أبيها العجوز:

- أنا ما كنتش متخيلة إن البحث ده حقيقي.

- البحث ده اتكتب من زمان أوي .. من أكتر من ١٥٠ سنة ..

- يعني ده مختلف عن البحث بتاع الخمس دكاترة بتوع الـ....

- اقري بنفسك وأنتِ تعرفي

صمتت وهي تكتم أنفاسها من فرط الإثارة، ثم قالت بصوت لاهث:

- وامتى هيجي الوقت المناسب ده؟

- لما يفرجوا عن محمد حارس.

علت الدهشة تقاسيم وجهها، ووقالت

- وهم هيقبضوا عليه ليه من الأساس .. ده ظابط شرطة.

- لما يفرجوا عنه هتعرفي كل حاجة.. وساعتها بس هتنشري الحقيقة.. هتنشريها كلها.

- بقولك جبتِ منين البحث ده يا سمر؟

ابتسمت ابتسامة غامضة وهي تتابع:

- دي بقى مصادري الخاصة يا ريس.

- مصادرك الخاصة .. جرى ايه يا بنت.. ده أنا ماهر الرفاعي .. يعني محدش يقولي مصادري الخاصة .. ده أنا بتاع المصادر.

نهضت وهي تحمل الكمبيوتر المحمول في يدها وقالت:

- خلاص يا ريس بلاش .. أنا آخد البحث واطلع على المدى .. وساعتها هيعملوله تغطية خاصة .. ومش بعيد يصرفولي مبلغ مكافأة بالدولار.

نظر لها نظرة طفولية لائمة:

- سمر .. كده يا بنت أختي .. ده أنا خالو ماهر .. ده أنا اللي هطلعك سلم المجد الصحفي .. اقعدي اومال .. واكتبي كده معايا.

جلست وعلى وجهها نظرة انتصار خبيثة، ثم فتحت الجهاز من جديد وقالت:

- ممكن وأنت بتطلعني سلم المجد الصحفي .. تبقى تجيبلي لابتوب جديد

- اومال .. لابتوب وتابلت وكل حاجة.. بس كملي يالا ..

- أكمل ايه .. مش أنت اللي بتمليني.

نظر لها نظرة بلهاء للحظة، ثم هز رأسه وقال:

- آه صحيح .. طيب كملي ورايا .. لكن السر في الأمر ليس فقط فيمن حاول إخفاء هذا البحث .. بل السر في شخصية مهمة .. ارتبطت بهذه الجرائم الخمس .. حتى أنها اتهمت بارتكابها .. وهذه الشخصية هي.

قاطعته سمر مكملة:

- هي العقيد محمد حارس جاد المولى المصري .. الرجل الذي لم يكشف سر سكوته بعد ..

* * * * *

المشهد الرابع

ليل - خارجي

حوت كا بتاح (منزل روح بتاح) - الجيزة

مساء الثامن من يونيو عام ألفين وثلاثين

الجو هادئ في منزل روح بتاح، أو ما تبقى منه.

منذ أن دمر هذا المكان الجميل في أزمنة سابقة، ربما على يد الفرس أو الرومان أو أو أو .. كثيرون مروا من هنا، وقليلون من

يعرفون ما يقع في ركن المعبد الشمالي الغربي.

مثل ذلك الرجل النحيل، الذي يخطو بخطوات واسعة واثقة داخل انقاض المعبد. المياه الجوفية التي شفط معظمها منذ سنوات أثناء التنقيب، والأعمدة المتحطمة إلى كتل صغيرة تنام على جوانبها، والهلال المختفي في جانبه المظلم. وذلك الرجل الملتحف بالسواد، وعلى رأسه قبعة مستديرة، يخطو داخل الأطلال. غير عابئ بالكلاب الضالة التي تنبح من مكان ما، ولا بالحراسة التي غفا معظمهم في تلك الساعة من الليل، مطمئنين على الحجارة التي لن يقربها لص، ولا بالأفاعي التي تختبئ في شقوق الحجارة الرطبة.

وصل بعد قليل إلى أطراف الأرض التي كان يحتلها المعبد، ثم خلع قبعته، ووضعها فوق عمود متهدم، ثم ضم كفيه إلى بعضهما تحت ذقنه في وضع يشبه الرهبان البوذيين، وأغمض عينيه الرماديتين، وعلى وجهه ينمو شبح ابتسامة خبيثة، وهو يهمس قائلاً:

- السلام والمجد عليك يا سيدنا المبارك .. ابنك قد جاءك بعد غيبة.

عوى كلب ضال في مكان ما، فجاوبته ثلاثة كلاب غاضبة في تبادل للسباب أو ربما على سبيل فرض سيطرتها على المكان.

- لقد أتممت المهمة أيها المبارك .. ودفنت السر مع من حاولوا نبشه .. ومحوت الأثر الذي تركه أبناؤك العاصون المارقون.

ثم رفع يديه إلى جانب وجهه، وكف يده مفتوح متوجه إلى زاوية المعبد القديمة وكأنه يحيي أحدًا:

- هم لا يفهمون يا سيدي .. يظنون أن عهدك لنا كان أن نترك العاديين يحكمون بلا إرشاد .. يظنون أنهم فهموا تعاليمك .. لكنهم لم يفهموا يا سيدي .. لم يفهموا أنك إن كنت حيًا. لم تكن لترضى عما يفعلونه.

ثم صمت وهو يعيد ذراعيه إلى جانبه، ويفتح عينيه قائلًا:

- حتى ابن أوزير الأخير الذي تنبأت له بحياة لا تنتهي حتى يوم الدينونة. لم يفهم وضل ضلالًا مبينًا ثم تقدم على قدميه بخطواته الواسعة حتى وصل إلى نقطة في الأرض التي كستها الحشائش، وصعد فوق حجر محيت نقوشه وتبدلت ألوانه، وفرد ذراعيه إلى جوار جسده على طولهما، ثم تألق جسده بضوء أحمر وبدأ جسده يرتفع عن الأرض قليلًا.

وكأنه موشك على الطيران

وراحت شفتاه تتمتمان بكلمات لن يفهمها أحد من أهل الأرض.

وجسده يرتفع رويدًا رويدًا، حتى صار في ارتفاع مبنى من أربعة طوابق.

ثم توقف جسده في الهواء، وكأنه معلق إلى السماء بحبل خفي.

- سيدي المبارك .. جئتك أبتغي العون. فدلني على مكان بئرك

المباركة..

ثم فتح عينيه وهو ينظر نحو بقعة من الأرض، تحتلها قاعدة حجرية داكنة اللون، وقال:

- دلني يا سيدي على مكان البئر .. حتى أنهي ما بدأته منذ جئت من الغرب.

ثم راح يحرك يديه النحيفتين ذات الأصابع الطويلة، وجسده يتألق في الظلام حتى تحول إلى شمس حمراء قانية.

ومع حركات أصابعه، راحت الرياح تهب حول حطام المعبد البائد.

بينما راح وجهه الأبيض الشاحب، يكتسب بشرة قمحية مشربة بالحمرة، واستطال شعره الأسود المتناثر فوق رأسه، بينما برزت أذناه واستطالتا حتى كادتا تغادران رأسه إلى السماء.

وبعد لحظات، تحول وجهه إلى وجه يختلف عن وجهه القديم الذي دخل المعبد

فالآن، وجهه هو وجه ست، معبود الرياح، ربيب الثعالب، الشيطان القادم من الغرب.

لكنه عندما دخل المعبد، كان يحمل وجها نعرفه جيدًا.

وجه مايكل سميث!

* * * * *

المشهد الخامس

نهار - داخلي

وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح التاسع من يونيو عام ألفين وثلاثين

دق الباب الخشبي الأنيق، دقات ثلاثية مميزة، فقالت إيرين بهدوئها المعتاد:

- ادخل يا كريم.

فتح الباب، ودخل النقيب كريم لبيب، وهو في كامل أناقته، ورائحة عطر صيفي رائق تخترق الهواء نحو أنف إيرين، لتزلزل كيانها. سمعت الضحكة التي تعرفها ترن في أذنها، ورأت الخيال العجوز من خلف كتفي كريم يبتسم لها في حنان:

- والله وبقيتي بتشمِ البارفانات وبتاخدي بالك من الشياكة والوسامة يا إيرين.

فتبتسم ابتسامة خجولاً، وهي تعدل عويناتها على وجهها:

- وبعدين معاك يا بروف .. أنا لسه أنثى وبتكسف.

بينما وقف كريم في مكانه، ونظر نحو ميري الجالسة أمام المكتب، فوضعت الأخيرة اصبعها أمام شفتيها وقالت:

- ما تعملش دوشة .. اصله حضر.

- هو مين اللي حضر؟

- البروف.

هز كريم رأسه مبتسمًا، فنظرت إلى وجه إيرين وهي تبتسم ابتسامة حنونًا، بينما إيرين ما زالت تبتسم في خجل.

- يا بروف أصله بيفكرني بيك.

- ليه .. هو عنده تصلب شرايين وضغط وسكر؟

- لا .. بس عنده مخ بيستخدمه.

اقترب منها الخيال العجوز، حتى كادت تقسم أنها تشعر بلفحات من أنفاسه المعبقة بدخان السجائر المحلية، وأنها شعرت بكفه التي ربتت على وجهها النحيل:

- يبقى أنا كده اطمنت .. اطمنت يا إيرين .. بس خلي بالك.

ثم نظر إلى وجه كريم وهمس بصوته العجوز في جنبات عقلها:

- لسه حكاية حارس ما خلصتش .. دي لسه بتبتدي.

قطع شرودها وخيالاتها صوت الحلواني وهو يقتحم المكتب

بعاصفة مدوية، وهو يصرخ قائلًا:

- سمعتوا اللي حصل في ميت رهينة؟

ارتج كيانها، ونظرت نحوه نظرة بلهاء ساهمة، فنظر الحلواني إلى ميري، لتهز الأخيرة رأسها مؤمنة على ما ظنه:

- لا اصحي معايا يا إيرين .. الموضوع مش مستحمل سرحان.

صاح به كريم.

- ايه يا حلواني في ايه .. أنت مالك داخل بزعابيبك علينا كده ليه؟

- هي الحقيقة مش زعابيبي أنا.

ثم أخرج جهاز الكمبيوتر اللوحي من جرابه، وأزال قفل الشاشة، ثم رفع الجهاز في وجههم بعد أن شغل ذلك الفيديو. وعلى الشاشة ذات العشر بوصات، حدقت ست عيون مذهولة فيما يحدث.

وعلى الشاشة، كان إعصار رملي عملاق يصل من الأرض للسماء، يدور بسرعة جنونية، بينما الأرض أسفله مغطاة بالحشائش الخضراء، وعليها تستقر أحجار قديمة كبيرة، وبقايا أعمدة قديمة، بينما يشع نور أحمر غريب من داخل الرياح الصاعدة!

ثم انقطعت الصورة، وظهرت صورة لوجهين منتفخين، ملأتهما الدمامل الحمراء ذات الرؤوس السوداء، واستحال بياض عينيهما أصفر بلون الرمال الصحراوية، ويبدو من الثياب التي تكسو

أجسادهم المتقرحة المليئة بالدمامل، ثياب رجال أمن بسيطة، استحال لونها إلى الأصفر من كثرة الأثرية التي تغطيها. ثم عادت الصورة المهتزة من جديد، ليحتلها الإعصار العملاق ذو الضوء الأحمر، وتخفي داخله الأحجار والأعمدة.

ثم انقطع الفيديو.

وبعد أن احتل الصمت هواء الغرفة، حتى أن صوت هدير جهاز التكييف كان كدوي دراجة بخارية مسرعة.

وكان كريم أول من تحدث:

- أنا لولا إني عارفك .. كنت قولت إنك جايب الفيديو ده من فيلم اجنبي أو من ناشونال جيوجرافيك.

لا يا كريم .. ده مش ناشونال جيوجرافيك .. ولا فيلم أجنبي هابط من بتوع لعنات الصحاري .. الفيديو ده لقطته كاميرا موبايل بتاعة فرد أمن مدني بتاع الوردية الصباحية لحرامة المنطقة الأثرية .. لما راح يستلم من زمايله بتوع وردية الليل.. لقى المنظر ده .. ولقى زمايله في الحالة المزرية دي.

تنحنحت إيرين وكأنها أفاقت من غيبوبة طويلة وقالت:

- الدمامل دي شبه أمراض كتير أوي.. بس عمرها ما بتبقى بالحجم الكبير ده ولا بالشكل ده إلا بعد أيام من الإصابة .. مش بين وردية ليل ووردية نهار.

أومأ كريم برأسه، وسأل الحلواني:

- استجوبوا العيلين بتوع الأمن؟

- والنتيجة غريبة زي الدمامل اللي طلعت فجأة وكبرت فجأة .. الحراس بيقولوا إنهم كانوا نايمين نوم غريب مش فاهمين سببه.

ابتسم كريم ساخرًا:

- سببه الإهمال .. كالعادة .. أنا آسف معلش كمل.

- ولما صحيوا بعد الفجرية بشوية.. لقوا الرياح الغريبة دي اللي شبه الإعصار .. والنور الأحمر اللي جاي من جواها .. واستغربوا .. فواحد منهم اتشجع وراح يشوف في ايه .. وبعدين قعد يصرخ زي المجنون .. ولما راحله زميله عشان ينجده .. لقى التراب بيضرب وشه ووش زميله .. وحسوا إن الإعصار بيشفطهم .. وهربوا منه بمعجزة.

قاطعته إيرين:

- طب والدمامل دي ظهرت امتى؟

- أول ما رجعوا على الاستراحة بتاعتهم .. لقوا وشهم اتنفخ واتعبى دمامل .. وقعدوا يغسلوه بمية .. فالدمامل تزيد وتكبر .. لحد ما بقت بالمنظر ده.

كانت إيرين شاردة تحدق في الفراغ، حتى أنها لم تسمع كريم وهو يسألها:

- ايه رأيك يا دكتورة؟ .. يا إيرين .. يا دكتورة!

- ها .. مش عارفة .. بس أنا ما أعرفش وباء ممكن يعمل كده بالسرعة دي .. وفي ظرف ساعات قليلة.

صدرت همهمة ساخرة من بين شفتي الحلواني ثم قال:

- وهو حد كان يعرف الكوفيد لما هل علينا يا دكتورة؟

- الكوفيد مرض تنفسي تحور من أمراض شبيهة بيه .. لكن كل الأوبئة اللي أعرفها اللي ممكن تعمل كده مهما تطورت مش هتوصل للنتيجة دي في ظرف ساعات أو دقائق زي ما فهمت منك.

ثم أخذت منه الجهاز اللوحي، وأعادت تشغيل الفيديو، وأوقفته عند صورة الحارسين المسكينين، وقطبت جبينها وهي تحاول استكشاف الأمر عن قرب، بينما همست ميري مذعورة:

- حوت كا بتاح.

نظر لها الحلواني مندهشًا، بينما قال كريم ساخرًا:

- ايه يا ميري .. دي تعويذة ولا ايه؟

هزت رأسها ونظرت له قائلة في استنكار:

- حوت كا بتاح .. يعني منزل روح بتاح.

ثم أشارت إلى الكمبيوتر اللوحي متابعة:

- ده الاسم القديم للمكان ده .. اللي كان فيه معبد قديم .. ويقال

إن كان فيه ضريح بتاح .. وفيه كمان...

ثم صمتت وهي تنظر إلى ايرين، فقالت الأخيرة:

- اتكلمي يا ميري .. الاتنين عارفين كل حاجة عن البحث.

- فيه البئر المقدسة .. اللي كان بيشرب منها المتحولين الثلاثين .. فتبدأ دورة حياتهم الجديدة تاني.

هدر صوت الطابعة، فانتفض جسد ميري، بينما توتر كريم، لكن إيرين تقدمت من الطابعة وانتظرت حتى انتهت من عملها، وحملت ورقتين كبيرتين علقتهما على اللوح المصنوع من الفلين فوق الحائط الخاوي.

- خد يا حلواني التابلت بتاعك .. عشان أنا أعرف أفحصهم براحتي.

كانت الورقتين تمثلان صورتين، الأولى لوجوه حراس الأمن المساكين، والثانية لذلك الإعصار الذي يشع نورًا أحمر لكن في قلب الإعصار كان هناك شيء ما.

اقترب الحلواني من الصورتين، وراح ينظر إلى الصورة في تمعن، ثم قال:

- هو في خيال أسود في وسط النور الأحمر ولا أنا بيتهيألي؟

- مش عارفة يا حلواني .. بس أنا برضه اتخايلت بيه.

اقترب كريم، وراح يدقق في الصورة وحاجبيه ملتصقين ببعضهما

البعض.

- مش عارف .. مش حاسس إن في حاجة.

- ما علينا.

قالتها إيرين وهي تشير إلى الوجوه المنتفخة:

- حد بلغ مركز التحكم في الاوبئة؟

فاجابها الحلواني في هدوء:

- حصل .. وزمانهم حوطوا المكان وعزلوا الاتنين الحراس وزميلهم اللي كان رايح يستلم منهم .. وكل العساكر والطقم الطبي اللي راح يحاول ينقذهم .. بس واضح إن في عدوى وهم مكتمين على الموضوع عشان ما تحصلش دوشة من بدري.

ابتعد كريم عن الصور، وجلس على المقعد المواجه للمكتب، وحاجبيه ما زالا منعقدين وهو يفكر في كل ما يحيط بهذه الحادثة.

- أعتقد إننا محتاجين نبص في البحث ده أكتر يا ميري .. يمكن نلاقي حاجة ليها علاقة بالموضوع ده.

- مش ضروري يا كريم باشا.

التفت الجميع إلى ذلك الصوت الصادر من على باب المكتب، حيث يقف رجل بدين، له ذقن نامية، وعيناه ضيقتان تشعان بريقًا خبيثًا، ويداه تستقران في جيب بنطاله الواسع. وما أن راه الحلواني، حتى

قال:

- أهلًا يا سيف باشا .. خير؟

نظرت له إيرين قائلة في سخط غير مبرر ربما من فرط توترها:

- حضرتك دخلت هنا ازاي

- عادي .. لقيت الباب مفتوح .. فدخلت.

همت أن تقول شيئًا سخيفًا من جديد، لكنه اكمل دون أن ينظر لها:

- أعتقد يا كريم باشا إنكم مش لازم تقروا البحث كله .. عشان في شخص واحد بس يعرف ازاي يوقف اللي بيحصل ده.

نظر كريم إلى الحلواني ثم قال متشككًا:

- ويطلع مين الشخص ده؟

أشار سيف نحو صورة بدرجات الرمادي على الحائط الأيمن، تتوسط صورًا للأوراق التي وجدوها بجوار الجثث الأربع. صورة لوجه صارم، حاد القسمات، كان يمثل المشتبه به السابق، نظر أربعتهم إلى الصورة، ثم همست ميري:

- محمد حارس!

نظر كريم في حدة إلى سيف، ثم قال:

- وايه علاقة محمد حارس بالموضوع ده؟

- هحكيلكم كل حاجة يا كريم باشا .. بس صبرك عليا آخد نفسي

.. أنا بقالي ربع ساعة بدور على المكتب ده..

ثم تقدم من مقعد جلدي آخر مقابل للمكتب، ورمى بجسده عليه، ثم أمسك بكوب ماء وجده فوق المكتب، وراح يعب الماء في جشع. بينما قال الحلواني ساخرًا:

- فينه الخواجة سميث .. كان زمانه سمعنا محاضرةعن محمد حارس .. وازاي هو اللي ورا كل حاجة .. ربنا يخلصنا منه.

أنهى سيف كوب الماء كله، ثم نظر إلى الحلواني وقال:

- ما تقلقش يا حلواني .. أنت مش هتسمع من مايكل سميث تاني .. عشان مايكل سميث ما بقاش له وجود خلاص.

- ليه .. مات؟

ابتسم سيف ابتسامته الساخرة الخبيثة، ثم نهض من على المقعد كأنه فرس نهر يخرج من الماء، ثم وقف أمام الصور وقال:

- لا .. مايكل سميث .. انسلخ من فوق شكله الحقيقي .. ورجع لمكانه المناسب.

تساءلت ميري مندهشة:

- فين مكانه المناسب ده يا فندم؟

التفت لها سيف، ثم أشار بأصبعه إلى وسط صورة الإعصار المتوهج باللون الأحمر أشار إلى ذلك الظل الأسود الباهت في

منتصف الإعصار.

الظل الذي يشكل جسد القادم من الغرب.

مت!

* * * * *

المشهد السادس

نهار - داخلي

منزل اللواء إبراهيم عبد الفتاح

صباح الحادي عشر من يونيو عام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين

كان سيف المراهق، ابن الثامنة عشرة، طالب كلية الشرطة، مترهل الجسد من أثر وزن زائد قديم، يجلس مهتمًا للغاية، وكل ذرة فيه، منغمسة في تلك الرقعة المكونة من مربعات بيضاء وسوداء.

كان كعادته، يلعب مباراة حامية، بينه وبين نفسه!

وهم بتحريك الفيل الأسود، لكن الباب دق في هدوء، فتوقف عن اللعب، بينما فتح الباب، وظهر على عتبته والده، اللواء إبراهيم عبد الفتاح

- صباح الخير يا سيف.

- صباح الخير يا بابا.

- معايا ضيف.

كان سيف يكره الضيوف كما يكره الألوان كما يكره الأشجار ويكره الغباء. إلا أن ذلك الواقف على باب الغرفة، نجح في لفت انتباهه.

مراهق على أعتاب المراهقة، طرق باب المراهقة كما يقول والده، في حوالي الثالثة أو الرابعة عشرة، يقف منتصب القامة، بلا ابتسامة سخيفة، ولا عيون خاوية، ولا ألوان فاقعة، ولا بنطال ذي أرجل واسعة فوق حذاء ريدونج ذي مقدمة محشوة بالمعدن. ببساطة، ليس مراهقًا تقليديًا من التسعينات.

- قوم سلم على صديقك .. محمد حارس ابن اللوا جاد المولى الله يرحمه.

نهض سيف، وتقدم من محمد حارس، وصافحه، ليشد الأخير يده على يد سيف:

- محمد هيقعد معانا في البيت هنا شوية لحد ما اللوا جاد المولى يقوم بالسلامة .. وهنخلي بالنا منه كأنه واحد مننا.

بدأ سيف يكرهه من جديد، إلا أن شيئًا ما في عيني حارس الصغير جذب سيف. كان يريد أن يعرف أكثر عن ما تخفيه هاتين العينين الذكيتين:

- حاضر يا فندم .. اعتبره حصل.

ضحك اللواء إبراهيم، وربت في قوة على كتف سيف، ثم ربت

على ظهر محمد حارس الصغير واغلق الباب خلفه مغادرًا الغرفة.

وما أن اغلق الباب، حتى تحرك سيف في هدوء ناحية رقعة الشطرنج وجلس خلفها وهو يرتب القطع من جديد قائلًا:

- بتعرف تلعب شطرنج؟

- ها .. نعم؟

- بقولك بتعرف تلعب شطرنج؟

ابتسامة حارس الواسعة ملأت تقاسيم وجهه المراهق الوسيم، حتى أن سيف شعر لوهلة أن الغرفة أضاءت من حوله.

- طب اسحب كرسي وتعالى أغلبك.

- أنت واثق أوي إنك هتكسب؟

- طبعًا .. البطولة اللي ممكن تعملها إنك تطول الجيم معايا شوية.

سحب حارس مقعدًا، ووضعه أمام الطاولة الصغيرة، ثم جلس أمام رقعة الشطرنج

- العب أنت بالأبيض عشان تبدأ الأول.

ابتسم حارس الشاب، ونظر في عيني سيف نظرة لن ينساها طوال عمره قائلًا

- العب أنت بالأبيض .. أنا بحب الأسود جدًا.

وبدأت المباراة.

وبعد خمس دقائق من النقلات المتوالية، والقطع الميتة، وجد سيف نفسه في موقف لا يحسد عليه.

ملكه الأبيض محشور بين زوج من البيادق السوداء،وخلفه حصان وفيل أسود يهددان حياته -الملك لا سيف- بينما قطعه البيضاء ترقد في سلام على جانب الرقعة

- أنت ايه .. شيطان .. ده أنت زي ما تكون بتقرا أفكاري.

- فعلًا .. أنا بقرا أفكارك.

نظر سيف إلى وجه حارس في استنكار وسخط.

استنكار لكلماته البسيطة، وسخط من بساطة الطريقة التي نطقها بها .

- يعني أنت دلوقتي مثلًا بتقول في سرك .. العيل أبو شخة ده يستحيل يغلبني بمجهوده ... أكيد أنا عملت نقلة غلط خليته يركب الجيم كده.

اتسعت عينا سيف، ولأول مرة في حياته القصيرة يشعر بهذا القدر من الذعر فالجملة في رأسه كانت كما قالها حارس بالنص.

- ودلوقتي مثلًا بتقول لنفسك إن يستحيل يكون الواد ده طبيعي.. ده أكيد مخاوي.

نظر سيف إلى حارس بمزيج من الدهشة والذعر ثم تراجع في

مقعده الجلدي الكبير مبعدًا يديه عن رقعة الشطرنج، بينما رفع حارس رأسه الفتي، ونظر بعينيه الواسعتين إلى سيف قائلًا في هدوء زاد من فزع سيف:

- بص يا سيف .. أنا هحكيلك حكاية غريبة شويتين عني .. الحكاية دي هتعرفك ليه أنا عرفت أسمع كلامك قبل حتى ما تقوله .. وخلتني أتوقع كل حاجة أنت بتفكر تعملها قبل ما تعملها فعلًا.

ثم قرب وجهه من سيف عبر رقعة الشطرنج وتابع:

- وهحكيلك عشان سببين .. عارف ايه هم؟

هز سيف رأسه يمنة ويسرة وعيناه الفزعتان لا تفارقان وجه حارس:

- السبب الأول إن شوفت جوة عقلك أبواب كتير أوي مفتوحة .. أبواب بطل بني البشر يستخدموها .. فتفكيرهم بقى محدود وخيالهم بقى أضيق من خرم الإبرة.

بدأ سيف يشعر بالهدوء فجأة، وكأن سريانًا من هواءمنعش بارد يغزو جنبات عقله، وأطرافه المتوترة ترتخي كأنه يسبح في حوض ماء دافئ.

- والسبب التاني انك لو حكيت الكلام ده لأي حد .. هيقولوا عليك مجنون وبتخرف .. ومش بعيد لو أصريت يحطوك في مصحة نفسية وتخسر مستقبلك المهني المشرق قبل ما تبدأه.

للمرة الأولى منذ أن دخل ذلك المراهق الغريب إلى الغرفة، يبتسم سيف ابتسامته الساخرة العابثة، وهو يسأل:

- ويا ترى ايه الحكاية .. اظن هتقولي انك كائن فضائي .. أو كائن من عالم غير عالم البشر .. أو جاي من المستقبل أو من بعد موازي.
ولا أي حاجة من دي .. أنا بشري زي زيك .. الحاجتين اللي بيميزوني عنك بس هو إن ربنا خلقلي شوية مواهب ومهارات أكتر من قدرات البشر العادية .. والحاجة التانية إن عمري طويل شويتين.

ضيق سيف عينيه قليلًا، وقرب وجهه من رقعة الشطرنج بينما راح يعبث بيده أسفل في حقيبته الصغيرة المعلقة على طرف الكرسي، وهو يتأكد أن حارس ما زال ينظر إليه بشكل كامل:

- وبعدين معاك يا سيف .. خلي ايدك جنبك وماتفكرش تطلع الإلكتريك شوك من الشنطة .. لأنه مش هيأثر فيا.

تجمدت يده الممتلئة داخل الحقيبة ثم سحبها بهدوء ووضعها فوق ركبته موازية للأخرى، وراحت أنفاسه تتلاحق وهو يقول:

- أنت ايه .. وجيت منين .. وعمرك الطويل ده كام سنة .. واسمك الحقيقي ايه .. لأنه أكيد لا حارس ولا محمد!

نهض حارس من على مقعده، وتمشى بخطوات ثقيلة فوق السجادة الحمراء ذات النقوش الزرقاء الباهتة. خطوات لا تليق أبدًا بمراهق في الثالثة عشرة، خطوات واثقة هادئة أشبه بخطوات

جنرال حربي في غرفة القيادة ثم توقف أمام النافذة الزجاجية، وقال في هدوء:

- أنا زي ما قولتلك .. بشري زي زيك.. وجيت من نفس المكان اللي جه منه كل البشر .. ربنا خلقني في رحم أمي واتولدت بعد تسع شهور .. هنا .. على نفس الأرض دي .. الأرض اللي اسمها مصر .. أو جيبتوس .. أو تومري.. أو كيمت .. سميها زي ما تسميها ..

تذكر أنك حملت رواية حارس الليلة الأخيرة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

قطرات المطر تتساقط خارج النافذ، وتدق بهدوء على جهاز التكييف الصغير:

- وفي دورة من دورات حياتي اللانهائية .. أخدني الراجل الطيب اللي اسمه جاد المولى من حفرة صغيرة في الصحرا .. لقاني واقع مغمى عليا فيها .. وبعد ما طببني وراعاني هو ومراته المسكينة العقيمة .. قرر إنه يعملي شهادة ميلاد .. ويخليني ابنه الوحيد اللي ما خلفوش .. لكن الرب الخالق ما أمهلوش وقت كفاية عشان يربيني.. وراح هو وأمي في حادثة العربية المشهورة.

ثم سرح بعينيه الواسعتين إلى ما خارج النافذة الزجاجية ذات الخدوش الصغيرة، وراح يراقب قطرات المطر الضعيفة التي

تتساقط فوق أرضية الشارع الخاوي، وقال:

- وعمري الطويل ده تقريبا حوالي خمس آلاف سنة .. بالتحديد أربع آلاف وتسمعية وتسعين سنة .. أما اسمي .. فأنا ليا أسامي كتير أوي أوي .. لكن أقربهم لقلبي هو الاسم اللي سمتني بيه أمي الروحية المباركة.

ثم التفت إلى سيف ونظر في عينيه الذاهلتين الفزعتين وقال هامسًا:

- أنبو

*****

المشهد السابع

ليل - داخلي

وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

مساء التاسع من يونيو عام ألفين وثلاثين

- وبعدها بقينا أصدقاء .. أو تقدري تقولوا .. إخوات ..لسنين كتير أوي .. اتعلمت فيها منه حاجات كتير.. حاجات خلتني سيف عبد الفتاح اللي كنته قبل ما أخش المصحة.. حتى إنه حصلني بعدها ودخل كلية الشرطة .. وبعدها اتعرف على المرحومة مراته وهو بيخدم في قسم مصر الجديدة.. واتنقل بعدها وحدة الأمن الوطني .. وانقطعت أخباره تمامًا.

ابتسم كريم ابتسامة ساخرة:

- أنا قولت كده برضه .. ما يخفيش الصفحات دي من ملف خدمته إلا الأمن الوطني.

- الحقيقة إن الصفحات دي مش هو اللي خفاها .. بس دي قصة تانية مش وقتها دلوقتي.

- وأنت بقى المفروض عايزنا نصدق الكلام ده؟

للمرة الأولى منذ أن دخل الغرفة، نظر سيف إلى كريم في غضب بعد أن أتم جملته الساخرة، إلا أن تعبير الغضب اختفى مباشرة، وحل محله تعبير بارد هادئ:

- صدق أو ما تصدقش يا كريم باشا .. دي مش مشكلتي .. مشكلتي دلوقتي الناس اللي ماتت وهتموت بسبب اللي بيحصل في أنقاض قصر بتاح .. واللي هيعمله العفريت الأسود ده عشان يمحي أي وجود لبحث المتحولين اللي معاكم ..

تنحنحت إيرين وسألت بصوت مختنق:

- هيمحيه ازاي يا سيف باشا .. ده كلام اتسجل واتصور واتعمله مكان وزمانه هيغرق الإنترنت .. يعني محدش يقدر يخفيه.

- أديك قولتي بنفسك يا دكتورة .. كلام .. مجرد كلام .. لكن لما يختفي كل دليل على الكلام ده .. هيتحول لمجرد نظريات خيالية وتخاريف بتحكيها العجائز زي قصص أمنا الغولة وأبو رجل

مسلوخة.

وما أن أتم عبارته، حتى غمغم كريم بكلمات ساخطة ساخرة:

- والله ما في تخاريف أكتر من اللي أنت بتقولها.

التف سيف بكامل جسده البدين ناحية كريم، وعلى وجهه علامات الغضب الهادر للمرة الأولى منذ أن ترك الخدمة في الشرطة:

- إذا كنت معتبر كلامي تخاريف يبقى روح بنفسك شوف الإعصار اللي بيقلب وشوش الناس كده وفسرلي سبب إن إعصار زي ده يظهر في المكان ده في شهر يونيو. ويفضل موجود ما بيتحركش ليوم كامل وبيشع نور احمر زى ده.

نهض كريم غاضبًا ووقف أمام سيف في تحدٍ:

- كل حاجة في الدنيا ممكن يكون ليها تفسير منطقي .. غير إن تفسيرها يبقى محاولة بائسة منك لاستدعاء خرافات وخيالات زي دي .. ومحاولة إنك تخليها حقيقة.

- المحاولة البائسة الوحيدة اللي أنا شايفها يا حضرة الضابط هي محاولتك إنكار كل الحقايق اللي قدامك واللي أنا شايفه يستحق إنك تفكر تتعالج نفسيًا

اقترب كريم أكثر من سيف وقال وهو ينظر في عينيه بنظرة ساخرة متحدية:

- اهو أنا دلوقتي بفكر آخد نصيحتك بعين الاعتبار .. وخصوصًا

إنك صاحب خبرة في المجال ده.

- بس يا كريم!

صاح الحلواني غاضبًا، غاضبًا كأنه نمر مفترس داس أحدهم على ذيله:

- كلمة زيادة كمان وأنا اللي هقفلك.. وابقى فكر مجرد تفكير إنك ترد عليا كده.

نظر كريم إلى الحلواني، ثم إلى سيف، وكأنه يزن جدية هذا التهديد، ثم تركهما واتجه ناحية الباب، والتفت إلى الجميع، وكأنه يلقي نظرة أخيرة عليهم، ثم قال:

- يبقى خليكم عايشين جوة الوهم .. لكن أنا قررت إني ما أبقاش جزء من المهزلة دي.

ثم خرج وصفق الباب خلفه في عنف.

خيم الصمت على فراغ الغرفة، ثم قطعه الحلواني قائلًا في هدوء:

- محمد حارس جالي المكتب في الوزارة هنا من فترة .. ساعة لما كنا بنفتش وراه زي ما الشيطان وموسلنا .. وقالي على حاجات غامضة ومش مفهومة .. بس قالي إن مفتاح كل حاجة هو سيف .. وسيف هو اللي هيعرف يفسر كل حاجة.

ثم التفت إلى إيرين وتابع:

- ساعتها كلمني عن البحث .. وقالي إنه عمل كل حاجة عشان

يحافظ على النسخة الأصلية اللي خباها من أربعين سنة في بيت غنيم .. وعن الكوارث اللي عملها الضحايا الأربعة.. وازاي إن غرضهم مكانش بس إنهم يبحثوا .. لا كانوا عايزين اللي أكتر من البحث ..

ثم نظر إلى صورة الإعصار الأحمر المتوهج، وقال في خفوت بصوت أشبه بالفحيح:

- وإن اللي جاي بعد كده عنوانه الموت.. الموت وبس.

* * * * *

المشهد الثامن

نهار - خارجي

موقع تنقيب آثار قصر أوزريس - صحراء حلوان

صباح العاشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

وقف الدكتور سعيد عبد الغفار فخورًا، منتصب القامة وقميصه الأبيض الكتاني معجون بالعرق والأتربة، بينما عيناه تلمعان ببريق أخاذ، وهو يبتسم لزملائه وعماله كأنه نجم سينما فوق سجادة حمراء، فاليوم هو اليوم الذي حلم به منذ خمسة أعوام كاملة. منذ أن جاءته تلك الرؤيا بين النوم والصحو، تدعوه إلى البحث عن قصر المبارك أوزير أو أوزريس كما اصبح يلقب في عصرنا هذا.

يتذكر ذلك اليوم كأنه البارحة.

كان جالسًا في حديقة منزله الأنيقة الصغيرة في مدينة الغردقة،

حيث اختار أن يستقر بعيدًا عن القاهرة، مسترخيا على أريكة صغيرة في شمس أكتوبر الدافئة، عندما هبت عليه رياح النعاس، وأسلم جفنيه ليسقطا فوق عينيه العسليتين. هنا سمع الصوت الرخيم يتردد في أذنه:

- يا سعيد احفر قرب العين تجد منزل المبارك أوزير

حاول أن يفتح عينيه، لكن جفنيه أعلنا العصيان، وثقل لسانه وهو يرد كأنه مسكر ببرميل خمر رديء:

- عين ايه وازاي وهو أوزير عنده؟

لكن الصوت ازداد صرامة وحزما كأنه يأمره أمرًا:

- احفر عند العين .. جنوب مدينة بتاح.. ستجد منزل المبارك أوزير.

ثم سمع الصوت يردد نفس الجملة من جديد، يرددها بلا نهاية.

وبعد لحظات، استيقظ سعيد.

استيقظ عازمًا على تنفيذ الأمر.

واليوم، وبعد خمس سنوات من التعقيدات، والروتين المصاب بتصلب الشرايين، والاتهامات بالجنون وإهدار الموارد.

وصل إلى سقف منزل حجري، نقش عليه بالهيروغليفية كلمات تقول

«إليك أيها الرب الواحد .. يسبح أوزير كل صباح ومساء»

وعندما تعمق في الحفر وجد جدارا تهدم معظمه، إلا أنه التقط منه جملة واحدة صريحة

«مبارك يا من كانت كيمت أرضك .. وبيت أوزير بيتك»

وهنا جن جنونه فرحًا.

حتى أنه عندما اتصل بزوجته وحبيبته والشخص الوحيد الذي آمن به في تلك الرحلة، كان لا يقدر على تجميع كلمتين في جملة مفيدة:

- لقيته .. لقيته يا مايسة .. لقيت اللي .. لقيته وأكيد هو اللي .. لقيته.

واختلط في أذنه تهليل العمال حوله فرحًا لفرحته، ودموعه السائلة بغزارة على وجهه الوسيم، وصوت زوجته وهي تغني فرحًا به.

قطع تأملاته صوت مساعده الأول، وائل، وهو يقول:

- دكتور سعيد .. لازم تيجي تشوف ده حالًا.

شد القبعة على رأسه، ومسح عرقه السائل بين شقوق وجهه، وهو يهرول ناحية الشيء الذي كان وائل يريده أن يراه، كان ما بين يدي وائل لوحًا صغيرًا من البازلت، كان قريبًا في الحجم من كمبيوتر لوحي، نقشت عليه مجموعة رموز بالهيروغليفية، متراصة في

خمس مجموعات، كل منها تحوي ست مجموعات من الرموز.

تناول اللوح الذي يمسكه وائل، وراح يمسحه بمنديله الذي يمسح به عرقه، وهو يمرر أصابعه على الرموز المنقوشة بحرفية عالية في قلب الحجر، ويغمغم بكلمات تترجم ما تلمسه يداه:

- خير يا دكتور .. شايف ايه؟

لكن سعيد لم يرد.

كان الآن في عالم آخر.

كان يرى أمامه مجموعة من ثلاثين شخصًا، تقف متقاربة متقاطعة كأنهم عناصر لوحة رسمها دافنشي.

- يا دكتور سعيد .. أنت ما بتردش علي ليه؟

لمس بيده نقشًا على زاوية الحجر لا يبدو وكأنه جزء من الثلاثين اسمًا، يبدو كثلاث بوابات أو أقواس متجاورة، ثم قال في ذهول وهو لا يرفع عينيه عن اللوح:

- ماعب .. ماعب .. ثلاثين .. أولهم شو وتفنوت .. ثلاثين ..

ثم راح يلمس الأسماء وهو يردد كالممسوس:

- بتاح .. أوزير .. إست .. خونسو .. تحوتي .. سخمت .. ست ..

ثم صمت والتفت إلى وائل وعيناه مغرورقتان بالدموع:

- الاكتشاف ده هيغير التاريخ يا وائل.. احنا صنعنا تاريخ جديد يا

وائل.

ثم راح يرقص وهو ممسك باللوح، وهو يردد الجملة كالممسوس، والعمال يحدقون فيه وعلى وجوههم ضحكات تختلط فيها السخرية بالشفقة بالفرحة بالإرهاق:

- تاريخ جديد يا وائل .. تاريخ جديد .. كده فاضلنا نلاقي المومياء .. ونثبت إن أوزير حقيقة .. حقيقة .. سامعني يا وائل!

لكنه تفاجئ بذلك التعبير على وجه مساعده وائل، بل على وجه كل من يقفون حوله.

تعبير مختلط من الذهول، والفزع، وبريق خوف حيواني، وفك متدلي من أثر الصدمة.

وهو ما أجبره أن يلتفت إلى ما ينظر له وائل.

وإلى ما ينظر له الجميع.

وما أن رأى ما رآه وائل والعمال، حتى انتقلت كل هذه المشاعر له.

الصدمة، الفزع، الدهشة، الخوف الحيواني.

وكان هو أول من نطق:

- مستحيل .. مفيش الكلام ده في مصر أبدًا .. ومش في شهر يونيو ومش...

ثم صمت لشعوره بسخافة ما يقول.

فأمام العيون الفزعة، تشكل إعصار صاعد من الهواء المليء بذرات التراب، يصعد من الأرض إلى ما لانهاية، ويتألق بضوء أحمر وهاج.

وقبل أن يتحرك خطوة واحدة، هو أو أي عضو في فريق التنقيب، سمع الصوت الغليظ المبحوح يأتي من كل مكان حولهم:

- فلتحل اللعنة على من ينبش في قبور الماضي ..

راح العمال يركضون بلا هدى ولا ترتيب في كل مكان، بينما ارتفع الصوت من جديد يردد في غضب

- سيدي .. هذا خادمك المخلص .. يأتيك بعبيدك المليئة قلوبهم بالخطايا .. فامنحهم صك العبور.. أو فلتجعلهم فداءً لرمالك المقدسة.

ثم زادت حدة الإعصار وسرعة دورانه، وهو يقترب في حدة نحو مركز الحفريات.

عند موقع منزل أوزير.

وعلى الرغم من ركض العمال في كل مكان، فقدر راحت الرياح تلهو بهم كطفل يلهو بدمية قماشية، والرمال تضرب وجوههم التي ضربتها الشمس، فراحت الدماء تسيل من وجوهم وهم يصرخون في رعب.

وفي وسط الإعصار، في مركزه بالتحديد، وقف الدكتور سعيد ينظر إلى الإعصار في دهشة، بينما الرمال تضرب وجهه الوسيم،

وتهيل التراب على جسده الواقف ثابتًا بلا حراك وبلا إحساس.

وبينما الرمال تغرقه في قلبها، وهو فاقد الإحساس، متبلد الشعور لا يقاوم ولا يقدر على المقاومة، نظر إلى اللوح . الجرانيتي في يده ثم همس بآخر كلماته قبل أن تغمره الرمال:

- مستحيل!

وبعد نصف ساعة بالتمام، توقفت الرياح، واختفى الإعصار الأحمر الثائر.

اختفى مثل سعيد ومساعديه وعماله الغارقين في الرمال

اختفى كأن لم يكن.

* * * * *

المشهد التاسع

ليل - داخلي

ملجأ إيزيس للفتيات اليتيمات - مدينة الشروق

مساء العاشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

جلست الأستاذة منى سالم، مديرة وصاحبة ملجأ إيزيس للقاصرات اليتيمات، على طرف الفراش بجوار ليلى.

وليلى فتاة جميلة، لها شعر أسود مجعد متشابك، وعينان واسعتان خضراوان بلون عشب المراعي، وضحكة بريئة مجلجلة.

ليلى فتاة يتيمة، تركتها أمها على باب أحد الملاجئ، ومعها شهادة ميلاد ورقية كتبت بخط سيئ كالأيام، وكبرت في الملجأ حتى بلغت سن العاشرة، ثم فرت منه عندما حاول أحد الحراس التحرش بها، بل وكاد ينجح، وعندما صرخت، ضربت.

ضربت وهي الضحية.

كانت منى تربت الآن على شعرها، ثم تجس جبهتها بكف يدها وتغمغم في خفوت:

- سلامتك يا ليلى .. بعد الشر عليك.

ليلى تذكرها بنفسها، بل تشعر معها أنها تجلس مع نسخة مصغرة منها. الشعر الأسود المجعد الثائر والعينين الواسعتين، والضحكة الطفولية البريئة. ونفس القصة بحذافيرها.

الملجأ، الإهانة، القهر الذئب الذي يشتهي الحمل، الصراخ، الضرب، الهروب. لكن مي كان حظها سعيدًا. فبعد أن فرت وهي في الثانية عشرة من عمرها، قابلت محمد حازم. كان ضابطًا شابًا في أواخر عشريناته، وسيمًا صارم الملامح، له أنف شامخ وعينان سوداوان عميقتان. وصوت حنون عميق.

وكان يتيمًا مثلها، يتيمًا وحيدًا، ترك البيت الذي نشأ فيه، وأصبح ساكن الليل، ربما بسبب عمله، أخذها إلى منزل سيدة طيبة عجوز، وطلب منها أن ترعاها وتتكفلها، على أن يتكفل هو بكل شيء.

كانت تظن أنها فترة مؤقتة، وسيتحول هذا الرجل الطيب الدمث

إلى ذئب آخر يشتهي الحمل، لكنها كبرت، وذهبت إلى المدرسة، ثم أنهت دبلوم التجارة، وأنشأت مشروعها الخاص، وأصبحت تكسب المال ربما أكثر ممن كان يتكفلها.

وفي أحد الأيام، زارته في منزل حماته العجوز بعد أن ماتت زوجته.

- ازاي ارد جميلك عليا يا أبيه حارس؟

- أنا ماليش جمايل عليك يا مي .. أنا كل اللي عملته إني اديتك فرصة تانية .. زي ما ربنا اداهالي زمان.

ابتسمت في حنان وهي تربت على كتفه:

- طب اطلب مني اي طلب وأنا هنفذه.

ابتسم ونظر لها نظرة مطولة، رأت فيها شبحا من حزن مختلط باليأس في عينيه الذكيتين، ثم قال:

- حاولي تدي غيرك فرصة تانية .. فرصة يستحقوها ..

ثم أشاح بوجهه نحو النافذة، وقال وهو يغمض عينيه في ضوء الشمس الذي كسا وجهه:

- وسميه إست .. ملجأ إست.

- مين إست دي يا أبيه؟

نظر لها من جديد بنظرة خاوية، ثم قال

- إيزيس .. سميه إيزيس.

- الله .. اسم جميل .. ومعبر .. عشان نكون في نفس حنان وحب إيزيس لابنها حورس.

ابتسم حارس ساعتها ابتسامة واسعة وقال في خفوت:

- مفيش حد في حنان إست .. قصدي إيزيس.

ثم ربت بكف يده على وجهها وقال:

- وعشان تبدأي بداية جميلة .. هديك حاجة تعلقيها في مكتبك .. مكتب مديرة الدار.

ثم مد يده إلى المكتب جواره، وتناول علبة معدنية تقشرطلاؤها، وفتحها بحرص، ثم تناول منها قلادة نحاسية جميلة:

- دي أصلية دي يا أبيه ..

- تقدري تقولي كده.

- أنت بقيت بتتاجر في الآثار؟

- الله يخرب بيتك هتوديني في داهية.. ثم إن كلمة أصلية مش معناها إنها مسروقة.

ثم قال وهو ينظر إلى القلادة في افتتان:

- أصلية عشان شايلة جواها حاجة أصلية جميلة ..

ثم وضعها في يدها وقال:

- علقيها في مكتبك .. أنا بتفائل بيها جدًا ..

يومها قلبتها على ظهرها، وراحت تحاول فهم الرموزالهيروغليفية التي كتبت على ظهرها، وعندما سألت صديقتها ميري، الطالبة في كلية علوم المصريات، قالت:

- مكتوب عليها .. امش يا بني في طريقك تحميك إرادة الرب وبركة إست

- كلام جميل أوي أوي.

- لا والحقيقة مكتوب بحرفية عالية .. محدش بيكتب الهيروغليفي بالترتيب ده إلا لما يكون عارف الرموز كويس.

رفعت كمادة الماء البارد من فوق رأس ليلى، ثم جست جبهتها من جديد، ثم مسحت الماء عن أطراف شعرها الثائر، وقبل أن تضع الكمادة الجديدة، سمعت الصوت.

صوت ريح غاضبة عنيفة، تضرب الزجاج والأبواب في عنف، حتى أوشكت على خلعها من مكانها.

- ستترك يا رب.

ثم وضعت الكمادة على جبهة ليلى، وهبت مسرعة نحو الممر ومنه إلى المدخل الأمامي للملجأ الكائن بفيلا أنيقة بضاحية هادئة، في أطراف مدينة الشروق.

سمعت صوت صفير الريح القوي، فأحكمت إغلاق الباب، ثم ذهبت إلى النافذة الزجاجية، وأزاحت شرائح الستائر.

ويا لهول ما رأته!

فعلى امتداد بصرها، رأت إعصارًا صاعدًا من الأرض حتى عنان السماء، يتوهج بضوء أحمر قان، يتقدم بسرعة من الصحراء نحو المنطقة المحيطة بالدار.

- دادة عفاف .. دادة عفاف

راحت تصيح منادية مساعدتها، فجاءت المرأة الخمسينية النحيلة تركض في فزع بثياب النوم:

- أيوة يا آنسة مي .. أنا كنت .. ايه ده.. يا ساتر يا رب!

واتسعت عيناها فزعًا، وهي تقف إلى جوار مي مراقبة ذلك الإعصار الذي يتقدم نحوهم.

- اقفلي الشبابيك كويس أوي .. واتاكدي إن كل الأبواب متريسة كويس .. واقفلي شفاطات المطبخ والحمام.

لكن المرأة المذهولة بدت وكأنها لم تسمع شيئًا، فصاحت مي بصرامة:

- اتحركي يا عفاف .. بسرعة!

انتفضت عفاف وكأن أحدهم سكب دلوًا من الماء البارد على وجهها، ثم انطلقت مسرعة لتنفذ الأوامر بينما ركضت مي مسرعة

إلى غرفتها.

شعرت بشيء يحثها على الركض إلى غرفتها، فركضت مسرعة.

أضاءت الغرفة البسيطة، التي يملأ فراغها سرير بسيط، وخزانة ثياب، ومكتب صغير علقت فوقه لوحة مستوحاة من نقش قديم لصورة إيزيس وهي تبتسم، وأسفلها علقت هدية محمد حارس.

القلادة.

أغلقت الباب، وذهبت إلى النافذة، وأحكمت إغلاقها، ثم راحت تراقب من بين شرائح الستائر كان الإعصار العاتي يقترب مكتسحًا كل شيء في طريقه، مقتلعًا أشجارًا قصيرة زرعت لتجمل شكل الطريق الواسع.

إلا أنها شعرت أن الإعصار قادم نحو الدار بالذات، نفس ذلك الشعور الذي لا تجد له تفسيرًا. وما هي إلا دقائق معدودة، حتى وصل الإعصار إلى الدار. راحت الرياح المحملة بالرمال تضرب الزجاج في عنف، وشعرت كأن البيت يرتج وكأن أحدهم يحاول نزعه من مكانه. وكأن الرياح لها يد خفية.

وعلى انعكاس الضوء الأحمر الصادر من قلب الإعصار، رأته يخرج من بين الرمال. رجل نحيل، متشح بالسواد من قمة رأسه حتى أطراف أصابع قدمه العارية، له شعر أسود ثائر ووجه مكفهر اختلطت فيه الحمرة بالسمرة. لكنه لم يكن يخرج سائرًا على قدميه. بل كان طافيًا في الهواء. وكأنه يطير.

وما أن اقترب من النافذة، حتى تراجعت في خوف، وركضت نحو القلادة، ثم أمسكتها واحتضنتها وجسدها النحيل يرتعش.

بينما سمعت صوت الدقات البطيئة على الزجاج.

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة يا فتاة!

سمعت الصوت الصارم الغليظ مبحوح النطق يحدثها كأنه واقف أمامها في الغرفة.

أغمضت عينيها وجسدها الضئيل يرتج خوفًا، ويداها الدقيقتان تقبضان على القلادة التي تحتضنها.

- هل تظنين أن إست قادرة على حمايتك .. إنها حتى لم تحمِ أبناءها.

سمعت الكلمات الساخرة الخبيثة الكريهة، فنظرت إلى لوحة إيزيس، ثم قلبت القلادة على ظهرها.

- ابعد عني وسيبنا في حالنا .. احنا مساكين ما آذيناش حد.

ضحك الصوت الغليظ المبحوح، ثم قال:

- لكل معركة أضرارها يا صغيرتي.

ثم زمجر غاضبًا وهو يقول بصوت مهيب:

- سيدي ..هذا خادمك المخلص .. يأتيك بأمَتِك المليء قلبُها بالخطايا .. فامنحها صك العبور.. أو فلتجعلها فداءً لرمالك المقدسة.

وأمام عيني مي المذعورتين، انفجر زجاج النوافذ متناثرًا في قلب الدار كل الزجاج في كل الغرف. وتعالت صرخات الفتيات الفزعات، مختلطة بصرخات المشرفات. لكن مي لم تصرخ.

لم تصرخ والرمال تقتحم عليها الغرفة.

لم تصرخ والرمال تضرب وجهها الجميل وتدمي شفتيها وذقنها.

لم تصرخ والريح تقتلعها من مكانها وتلقي بها بعرض الغرفة، مصطدمة بعنف بذلك الجدار الذي تعلوه لوحة إيزيس.

لم تصرخ قط.

فقط همست بهدوء وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة:

- مع السلامة يا أبيه .. مع السلامة.

ثم أغمضت عينيها

وانتهى كل شيء.

*****

المشهد العاشر

نهار - داخلي

وزارة الداخلية - القاهرة الجديدة

صباح الحادي عشر من يونيو عام ألفين وثلاثين.

ضرب توفيق إسماعيل سطح مكتبه في غضب، وهو يواجه احد ضباطه الكبار:

- يعني ايه مش لاقين أثر يعني ايه بني آدم يختفي وما تعرفوش توصلوله في بلد كل سكانها بقوا على قاعدة البيانات ويا ريته كان بني آدم عادي ده مشتبه فيه سابق في جرايم قتل هزت الرأي العام ..

ارتعشت ساقي الضابط الواقف كتلميذ يتعرض للتوبيخ وقال:

- يا فندم احنا كنا مراقبينه زي ما حضرتك كلفتنا على مدار الـ٢٤ ساعة .. بس امبارح بعد موجة الأعاصير التانية الجو كان غرقان في الأتربة من بدر لحد مصر الجديدة ولما انقشعت الأتربة الصبح ما لقيناش عربيته واقفة قدام البيت ولما طلعنا البيت وخبطنا. فتحتلنا حماته وقالت انه مش موجود ومسافر ومش عارفة مسافر فين.

نظر توفيق إلى الضابط بعين نصف مفتوحة، وحاجباه القصيران منعقدان على شكل الرقم سبعة، ثم قال:

- تقلبوا عليه البلد كلها .. أنا عايز خبره حيًا أو ميتًا في خلال أربعة

وعشرين ساعة.

- طيب يا فندم وبالنسبة لمستر مايكل سميث؟

- لا لا .. مايكل سميث ده ميبهولي.

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة متوحشة شرسة:

- الخواجة سميث ده بتاعي .. وأنا اللي هجيبه بنفسي.

ثم تناول علبة سجائره وقال وهو يزفر في ملل:

- اتفضل يا باشا .. وما تجيليش غير ومعاك خبر محمد حارس.

أدى الضابط تحية مرتجلة متعجلة، ثم خرج من المكتب.

وقبل أن يغلق الباب، دلف مدير مكتب الوزير إلى الحجرة، وتنحنح محيزًا انتباه توفيق:

- من غير نحنحة يا كمال وحياة أبوك.. خير!

- خير يا فندم إن شاء الله ..

ثم تنحنح من جديد قائلًا:

- المقدم سيف عبد الفتاح عايز يقابل حضرتك.

- قصدك المقدم السابق.

وما أن أتم عبارته، حتى سمع الضحكة المكتومة العابثة، وصوت سيف يدوي في الحجرة:

- ايه يا معالي الوزير .. دي طريقة تقابل بيها دفعتك برضه؟

- اطلع أنت يا إبراهيم .. واقفل الباب.. وخليهم يعملولنا القهوة .. قهوتك ايه يا سيف باشا؟

- زيادة يا إبراهيم .. زيادة.

أومأ إبراهيم برأسه، ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب.

- اتفضل ارتاح يا سيف باشا.

جلس سيف على المقعد الجلدي المريح، ثم نظر إلى توفيق نظرة ثابتة خاوية:

- خير يا سيف .. أي رياح طيبة.

- هو الحقيقة ما بقاش في رياح طيبة نهائي اليومين دول يا معالي الوزير.

- قصدك شوية الزوابع اللي منتشرة في البلد .. أنت عارف التغيرات الجوية .. هو الصيف بقى صيف ولا الشتا بقى شتا.

ضحك سيف ضحكة مكتومة ساخرة ثم قال:

- توفيق يا إسماعيل .. أنت عارف كويس أوي إن دي لا زوابع ولا تغيرات مناخية .. وإنها حاجة فوق مستوى إدراكك وإدراكي.

- ده كلام جرايد ومواقع .. مش كلام مستند على حقائق.

- وأنت تحب الحقائق صح؟

ثم نهض من فوق المقعد واستند إلى المكتب مقربًا وجهه من وجه توفيق هامسًا:

- توفيق .. أنا دلوقتي مش ضابط متقاعد بيكلم وزير الداخلية .. أنا سيف عبد الرحمن دفعتك .. بيكلم توفيق إسماعيل الضابط اللي أقسم إنه يحافظ على حياة الناس.. وخصوصًا ضباطه وعساكره .. وعشان كده بقولك يا توفيق ..

ثم ضم قبضته ووضعها فوق المكتب قائلًا:

- اعزل منطقة معبد بتاح .. وابعد قوات مكافحة الإرهاب .. الخطر اللي هناك يا توفيق أكبر مني ومنك .. ومحتاج تعامل احنا مش قده.. اسمع كلامي أنا في عرضك .. وسيب الخطر للي يقدر على ردعه يا توفيق.

- ايه اللي أنت بتقوله ده يا سيف .. دي منطقة كوارث .. وخطة الطوارئ العامة بتقول إن لازم...

صوب سيف نظراته نحو عيني توفيق:

- الكلام ده مش هينقذ حياة الناس يا توفيق ومعبد بتاح ده اللي بدأ من عنده الخطر كله وهينتهي عنده الخطر كله. أرجوك يا توفيق. اسمع كلامي لآخر مرة أرجوك .

نظر له توفيق نظرة متفحصة، وتجمد المشهد لدقائق، بينما ساعة الحائط تدق دقاتها الثابتة شاقة فراغ الصمت، ودخان سيجارة توفيق المعلق في الهواء يصنع أشباحًا رمادية حولهما، ثم مد توفيق

يده، وأمسك بسماعة الهاتف، وضغط زرًا، ثم انتظر حتى جاءه الرد:

- اطلبلي مدير أمن الجيزة وقائد عمليات خطة الطوارئ .. وبلغهم أمري بالانسحاب من محيط ميت رهينة ..

ثم وضع السماعة، ونظر من جديد إلى سيف قائلًا:

- أنا هسمع كلامك بس عشان أنا عارف أنت مين .. وحتى لو في يوم من الأيام سلمت نفسك للأوهام والخيالات .. لكن هتفضل أذكى بني آدم عرفته في حياتي

- أشكرك يا معالي الوزير .. أشكرك.

ثم دار بجسده الممتلئ، واتجه ناحية الباب، لكن توفيق استوقفه قائلًا:

- سيف ..

التفت سيف ناحيته نصف التفاتة، فقال:

- فين محمد حارس يا سيف؟

صمت سيف للحظة، ثم قال وهو يعاود المشي باتجاه الباب:

- في قلب الخطر يا معالي الوزير .. في قلب الخطر.

* * * * *

المشهد الحادي عشر

ليل - داخلي

حوت كا بتاح (منزل روح بتاح) - الجيزة

مساء الحادي عشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

أتقدم من محيط بيت المبارك بتاح.

التحف بعباءة بيضاء اعتدت أن ألبسها عند حضوري إلى قبر المبارك.

أمشي وأنا أحمل عصا خشبية متشققة، فقد فقدت عصاي الأثيرة يوم أن كنت هنا.

عندما دمر البرابرة منزل روح المبارك بتاح

أنا أنبو، أنوب، أنوبيس، هيرموبوليس،

هكذا سموني في كل اللغات.

أنا الحارس، الذي أوصاني أبي المبارك أوزير أن أحمي هذه الأرض، وهذه البقعة بالذات.

أنا من كنت يومًا قارئًا للموتى في بلاط بطليموس،وطبيبًا في بلاط قيصر وشرطيًا في عسس المعتصم، ومحققًا خاصًا في لندن، وكبير محققين في الشرطة السلطانية، وضابطًا في الأمن الوطني.

اقترب من ذلك العمود الهوائي العملاق.

الضوء الأحمر القاني ينعكس على وجهي المختبئ في غطاء رأس العباءة، وقدماي الحافيتان تدوس فوق الأرض المباركة

الأرض التي أقسم فيها بتاح وأوزير عهدًا أمام رسول الرب.

أقسما ألا يظلما، وألا يقتلا بلا حق، وألا يستأثرا بسلطة أو مال، إلا في خدمة هذه الأرض.

وما أن اقتربت أكثر من العاصفة، حتى راحت الأتربة تدغدغ وجهي

الأتربة التي صنعها ست.

لكن من قال أنها سوف تؤذيني.

أنا ربيب بنات آوى، أنا الذي ألقيَ في كهف في الصحراء لتتلقفه الهوام وترضعه وتربيه نيابة عن أمه العابثة اللاهية.

فلن تؤذيني بضع ذرات من فراشي الذي نمت عليه وأنا رضيع.

- اخرج لي هنا أيها الملعون .. وكف عن ذلك .. فلم يعد هناك فائدة.

ثم رحت أصيح والرمال تضرب وجهي بعنف:

- اخرج وواجهني كالرجال.

يتردد صوتي في قلب العاصفة، يتردد كأنما نحن في بئر بلا قرار.

- ابن أخي العزيز .. لقد انتظرتك طويلًا.

الصوت الغليظ مبحوح الأحرف، والنبرة الساخرة الكريهة:

- اخرج إليَّ هنا يا عماه .. اخرج حتى ننهي هذا الأمر كالرجال.

انزاح الغطاء عن رأسي، ليظهر وجهي الأسمر حاد القسمات، وعيناي اللتان تتوهجان ببريقهما الأزرق الساطع.

بريق الغضب.

- ألم أقل لك من قبل يا صغيري .. لن أبارزك بالسيف والعصا!

ثم تحول صوته إلى نبرة صارمة غاضبة:

- أعطني سر الماء المقدس وسأتركك تحيا حتى يفتك المرض بك وتموت وتتعفن أو احجب السر عني ولسوف أقتل كل يوم رهطًا من اتباعك ومريديك حتى تبقى وحيدًا ذليلًا.

ثم صاح غاضبًا حتى رجت صيحته جنبات العاصفة الترابية، وازداد الضوء الأحمر تألقًا ووهجًا:

- وساعتها ستأتي إليَّ راكعًا .. تتمنى أن أنهي حياتك بيدي .. ولن أرحمك يا ابن أوزير.

توقفت مكاني، وازداد بريق عيني الأزرق توهجًا وغضبًا، ثم أطلقت ضحكتي الساخرة العالية:

- أنت يائس يا ست يائس تبحث عن الحياة بلا توقف تريد الخلود في عالم لم يعد فيه الخلود اختيارًا. وتريد أن تمحو الأثر حتى لا يبحث عنك الباحثون وتبقى في الظلال حتى تحقق وهمك

القديم.

ارتجت الأرض من تحت قدمي، وانزاحت طاقة من التراب العاصف، ليظهر وسطها ظل أسود قاتم، يخرج من بين الضوء الأحمر سابحًا في الهواء فوق رأسي على ارتفاع مسلة رعمسيس.

ست القادم من الغرب.

- أنا الأحق بالملك من أبيك ومن أخيك الأعور .. أنا الأقوى يا أنبو.

- أنت تظن أنك الأقوى يا ست .. لكنك ضعيف هش .. غبي لا تملك في رأسك إلا عقل دجاجة .. خدعك حور من قبل .. وسحقك أمام عشيرتنا .. وخدعك تحوتي وحرمك من ماء الخلود .. وخدعتك إست وجعلت منك أضحوكة أمام الجميع.

زمجر غاضبا، ثم رفع يديه في الهواء، لترتفع الأتربة من الأرض أسفل قدمي، فتغوصان داخل الأرض، ثم ينزل يديه بعنف، فتنهال أطنان من التراب فوق قدمي.

- والآن يا أنبو .. لقد اكتفيت من العبث بك .. عبثت بك طوال خمسة آلاف عام .. زرعت لك شرًا في كل ركن .. وأوقعت بك مرات ومرات.. لكنك تفلت منها كما يفلت التراب من قبضة طفل عابث.

ثم زمجر في غضب، وهو يهبط بجسده النحيف وشعره الثائر صارخًا:

- لكن التراب اليوم ملك يدي يا أنبو.. ولسوف أهيله عليك بنفسي

.. كما أهلته على البئر.

- أنت أجبن من أن تدمر البئر وتردمها.. فبدونها سوف تفنى وتتعفن كالجيفة.

- أنت لا تفهم يا أنبو.

ثم اقترب مني بسرعة الرياح التي أثارها، وأمسك رقبتي هامسًا بأنفاسه الكريهة:

- البئر قد ردمها أحفاد الفلاين .. أهالوا عليها الصخوروالتراب .. واختلط ماؤها بماء آسن قذر .. ولم تعد صالحة .. لم تعد بئرًا مقدسة .. لقد دنسها الفلاون كما دنسوا كل شيء.

ثم جز على أسنانه المصفرة المدببة وقال:

- لذا ستمنحني السر .. أو سوف أقتلك وأستخرجه منك بطريقتي.

وضحك ضحكته الكريهة، وأنفاسه العفنة تصدم بوجهي مثل أتربته التي بدأت تدمي رقبتي وجبهتي.

- فلست وحدك من يقدر على قراءة الموتى يا ابن أوزير.

لكني رحت أضحك.

أضحك.

اضحك

وراحت الأرض ترتج من صوت ضحكاتي المنتصرة الساخرة

العالية.

وست ينظر إلي مندهشا، ساهما، والصدمة لا تفارق وجهه الكريه.

- أنت لا تفهم يا عماه .. لا تفهم.

ثم أمسكت بتلابيبه، وقربت وجهه من وجهي صارخًا:

- لا مر هناك .. لا مر .. هذا ما ابتدعته ماعت .. ونشرته ووقرته في قلوب العامة والطامعين .. حتى تجلبهم بأقدامهم إلى بيت تحوتي .. فتطبق فيهم شرع الرب ومشيئته .. لكن تحوتي أضعف من أن يصنع ماء البئر يا ست .. كلنا مجتمعون لا نقوى على صنع قطرة واحدة صنعها رب السماوات والأرض.

- أنت تكذب.. تكذب كما كذب أبوك وأخوك وأمك يا ابن الحدأة الشمطاء.

رحت أضحك من جديد.

أضحك.

بينما أخرج ست خنجره الملتوي، وكشر عن أنيابه وهو يضحك ضحكته الصفراء المقيتة قائلًا:

- إذن .. فأنت لم تترك لي خيارًا يا ابن أخي.

ثم رفع الخنجر في الهواء وهو يقول في شرامة:

- سيدي ..هذا خادمك المخلص ست .. يأتيك بعبدك أنبو .. بقلبه

الممتلئ بالخطايا .. فامنحه صك العبور إلى رحماك.. أو فلتجعله فداءً لأرضك المقدسة.

لم أقاومه.

لم أرد أن أقاومه.

بل أردتها أن تأتي بسرعة.

ميتة مريعة نظيفة بلا آلام.

ميتة تنهي على المرض الذي بدأ يسري في خلايا جسمي ويكاد يجعلني أتمنى الموت بلا تأخير.

ثم غرس الخنجر في صدري، وصرخ صرخة تشبه عويل آلاف الذئاب في قلب الصحاري المقفرة، وضحك ضحكة كضحكات قطيع من الضباع الجائعة، ورفع جسدي عاليًا، وراح يرتفع بي عاليًا، ويغرس خنجره أكثر داخل قلبي، ويسيل دمائي القرمزية لتختلط بالرمال والتراب.

روحي تنساب من جسدي، وقواي تخور وتضعف، وأطرافي يسري فيها الخدر.

وأغمض عيني وسط العاصفة، مسلمًا بمصيري.

لكني أجد نفسي في تلك البئر.

أجد نفسي داخلها.

كما كنت أحلم كل يوم.

البئر العميقة قد جفت، وهناك في قلب البئر أقف فوق الركام.

وينتشر صوت مست في أذني كفحيح ألف حية:

- بعد أن أمحو الأثر .. أمحوه بلا عودة .. لن يبقى سواي يا أنبو .. وسأستخرج منك السر

يدان قويتان تمسكان بجسدي فتمنعه من السقوط.

لكن نعامة سوداء تقف على مرمى بصري الآن، تصرخ بصوت رفيع:

- قاوم يا حارس بئر بتاح .. قاوم يا ابن كيمت يا حارس ميزان العدالة .. ولا تستسلم.

فيجيبها الصوت المبحوح الخارج من فم ست الكريه:

- لا فائدة من المقاومة يا حاملة الميزان .. فلتذهب عدالتك إلى أعماق الجحيم.

وطائر أبي منجل ذو الجسد البشري المشدود القوي، لا يتوقف عن النقر في قلبي، وينظر لي في سكون، ثم يتردد الصوت من عقله إلى عقلي:

- قاوم أيها الابن الملكي وافعل ما عليك فعله

لكني لا أقوى على المقاومة يا تحوتي

لا أقوى على التملص من القبضتين اللتين تمسكا بكتفي

ثم أسمع قرقرة الحدأة فوق البئر

قرقرة أقرب إلى الصراخ والعويل .

- استيقظ وانهض يا ابن أوزير .. افعل ما عليك فعله.

بينما الصوت الثعباني يبث السم في عقلي:

- لا فائدة من المقاومة أيها الملكي .. لا فائدة من كل ما فعلته .. سأستخرج السر من أحشائك التي فتك بها المرض .. ومن قلبك الذي صار بين يدي.

وصوت الحدأة البيضاء يدوي في رأسي:

- افعل ما عليك فعله.

وتحوتي ينقر بمنقاره في قلبي:

- استيقظ أيها المبارك .. فما زال أمامك الكثير.

وفي الأفق المظلم داخل البئر اللانهائية، أرى وجه سيف يبتسم:

- اصحى يا حارس .. قوم يا حارس.

وتحوتي يدون شيئًا في دفتر كبير يمتد إلى ما لا نهاية.

ثم صوت سيدي أوزير يأتي من لا مكان.

ومن كل مكان.

- انهض يا فتى .. انهض وافعل ما عليك فعله .. انهض يا حارس

العهد.

وساعتها، فتحت عيني وتوقف كل شيء حولي، وأمام عيني ست الرماديتين، تمتد يدي لتسحب ذلك الخنجر من قلبي.

تسحبه كأنما لم يكن هناك.

- يستحيل أن يحدث هذا .. أن ...

لكني لم أدعه يكمل جملته، وأمام عينيه اللتين غزاهما الرعب، وأمام وجهي الصارم المصمت والضوء الأخضر المنبعث من حول جسدي، والوهج الأزرق المشتعل في رأسي، رحت أردد في صرامة:

- سيدي ..هذا خادمك المخلص أنبو .. يأتيك بعبدك الملعون ست .. بقلبه الممتلئ بالخطايا .. فامنحه صك العبور إلى رحماك.. أو فلتجعله فداء لأرضك المقدسة.

ثم غرست الخنجر في قلبه. وتهاوى جسدانا وسط العاصفة المتوهجة. وما أن اصطدمنا بالأرض الطينية. حتى توقفت العواصف، وانطفأ الوهج الأحمر في جسده، وأمام عينيه الشاخصتين الخاليتين من أي حياة همست قائلًا:

- بقوة الرب الجبار .. اضرب أعداءك فلا تترك منهم أحدًا.

ثم أغمضت عيني، وهدأت أنفاسي..

وانتهى كل شيء.. انتهى إلى الأبد..

المشهد الثاني عشر

نهار - داخلي

مستشفى أكاديمية الشرطة - القاهرة الجديدة

صباح الخامس عشر من يونيو عام ألفين وثلاثين

وقف سيف يدخن سيجارة محلية طويلة الأنفاس، في قلب ممر المستشفى الخاوي، في تلك الساعة المبكرة من صباح ذلك اليوم، غير عابئ بنظرات الجميع من حوله، بينما خرجت إيرين من الغرفة رقم ٣٢٠، التي أرقد فيها بلا حراك، وعلى وجهها علامات الحزن والأسى .

- خير يا إيرين طمنيني!

- فاق .. بس لسه مش عارف هو فين ولا عارف ينطق بكلمة .. والجرح اللي جنب قلبه نزف دم كتير ودمر الأنسجة كلها .. بس الدكاترة بيقولوا إنه هيعيش.

زفر سيف دخان السيجارة، وكأنه يخرج مع أنفاسها توتره الذي عاش غارقًا فيه خمسة أيام كاملة، منذ أن عدت من تلك المعركة في قلب العاصفة.

منذ أن أنهيت حياة مست، وصرت الأخير.

بلا بئر مقدسة، ولا ماء يمنحني دورة أخرى من الحياة.

وللمرة الأولى، شعرت وأنا أفيق من غيبوبتي أني سعيد.

ستنتهي هذه الحياة بعد أعوام قليلة.

ستنتهي وتأخذ معها آلامي وأمراضي، وسأرحل بلا رجعة.

وبينما كان سيف يلقي بالسيجارة على الأرض الرخامية اللامعة، ويرفع رأسه من جديد، وجد أمامه شخصين ينتظران ، كاتب النيابة العجوز ينظر له في امتنان، ومعه رجل عجوز يرتدي جلبابًا قديمًا، تقرحت أطرافه وفوقه عباءة ممزقة وعدة مسابح معلقة على رقبته.

- مين ده .. ودخل هنا ازاي ..

صاحت إيرين مثيرة جلبة عالية، لكن سيف أشار لها بيده، ثم قال في هدوء:

- أنا هتولى الموضوع ده .. سيبينا لوحدنا يا إيرين.

- بس يا سيف باشا ...

- سيبينا لوحدنا يا إيرين إذا سمحت

نظرت إيرين له وراحت تحول نظرها بين سيف وبين الشخصين، ثم استدارت على عقبيها، ومشت مبتعدة وكعب حذائها يدق الأرض الرخامية في انتظام.

بينما التفت سيف إلى الرجلين وقال وعلى وجهه ابتسامة خافتة:

- ازيك يا كاتب .. بقالنا زمان ما اتقابلناش؟

- ازيك يا سيف .. أنا فرحت أوي لما شوفتك قاعد قدام إبراهيم أبو النور؟

- وأنا ما كنتش فاكرك .. بس لما دققت في وشك افتكرتك .. صحيح أنت عجزت شوية .. بس أنا مش هتوه عنك .. برغم إن حارس قالي إن هو الأخير.

لم يعقب، وابتسم ابتسامته الواسعة الحنون من جديد، ثم أشار إلى الرجل الواقف بجواره:

- أعرفك .. ده أخونا المسافر .. وجاي يطمن على حارس.

نظرت إلى الرجل الذي يتشبه بالدراويش والمجاذيب، ثم نظرت من جديد إلى الكاتب، فهز رأسه مؤمنًا:

- يبقى اتفضلوا .. أنتم عارفين الطريق.

ثم اتجه ناحية باب الغرفة، وفتحه، ليدلف منه الكاتب والمسافر ثم أغلقه خلفهم في إحكام، وفي داخل الغرفة، وعلى الضوء الخافت الصادر من مصباح صغير فوق رأسي، رأيتهما يتقدمان مني.

يتقدمان إلى يميني بعيدًا عن قلبي الذي احتك به الخنجر لكنه لم يدمره كليًا.

- ازيك يا حارس؟

أفتح عيني على اتساعهما، وانظر في وجه الكاتب، الذي راح ينظر لي في حنان جارف، ووجهه العجوز الطيب يحتل مرمى بصري بالكامل.

أحاول أن أجيبه، لكن صوتي الخافت لا يصل إلى أذنه:

- ما تتعبش نفسك .. احنا سامعينك.

كدت أهمس له بأني لا أعرفه، لكن شيئًا في عينيه كان يقول لي أني أعرفه جيدًا.

بينما اقترب الرجل الذي يرتدي الأسمال والمسابح مني، وهمس قائلًا:

- وحشتنا يا أخي .. وحشتنا.

نظرت له في عدم فهم، فابتسم ابتسامة واسعة، ثم قال:

- أنت فاكر إنك مش عارفني .. بس أنت عارفني كويس.

ثم اخرج من بين أسماله محقنًا صغيرًا، امتلأ بسائل شبه شفاف، ومال على أذني من جديد هامسًا:

- لا تقلق يا ابن أخي .. ما جئناك في شر.

هذا الصوت، هذا الصوت الذي يأتي من بئر عميقة بلا قرار.

صوت المسافر حامي المسافرين، الرجل الذي كان يقطن جبال أرض القمر.

حارس أرض القمر

همست بوهن ليخرج صوتي من بين شفتي فلا أكاد أسمعه:

- خونسو.

فابتسم ابتسامة واسعة، وسطع بريق أغشى بصري من وجهه، ثم التفت ناحية الكاتب العجوز، فغرس المحقن في خرطوم المحلول الموصل إلى أوردتي، وضخ السائل فيه.

وبينما يسري ماء الحياة في جسدي، وأنا أشهق كمن أنقذوه من الغرق، مال الكاتب على أذني وهمس قائلًا:

- انهض يا أنبو .. انهض وافعل ما عليك فعله ..

- تحوتي.

همست بها فرحًا، مندهشًا، مصعوقًا من هول ما أراه أمامي.

- لكنك كنت هناك عند البئر تواجه البرابرة و..

- لا تصدق كل ما تراه عينيك يا أنبو.. لا تصدق.

ثم نظر في عيني وقال بصوته الرخيم:

- واعلم يا أنبو انك لست الأخير .. لكنك ستكون الأخير.

ثم رفع رأسه ناظرًا إلى السقف، واغمض عينيه، وتوهج ذلك البريق الرمادي من جسده.

وساعتها عرفت أن عمري ما زال فيه الكثير.

ربما مائة عام أخرى.

ربما أقل.

لكني الآن عرفت أن تحوتي كان يعرف السر.

وأنني سأظل حيًا كي أكون كما كنت دائمًا.

لأنني يجب أن أفعل ما علي فعله.

فأنا حارس.

الأخير.

تمت

نهاية الموسم الأول